

البراغماتية (المعنى في السياق)

جيفري ليش وجيني توماس Geoffrey Leech and Jenny Thomas

مقارنة بالفروع اللغوية التي عولجت في الفصول السابقة، فإن البراغماتية قد دخلت الخريطة اللغوية مؤخراً، وقد يشك بعضهم فيما إذا أصبحت البراغماتية فرعاً لغوياً محترماً، أو إن كان هناك أي حقل حقيقي من الدراسة يسمى بالبراغماتية. ومع ذلك، فإنها أصبحت عاملاً هاماً في التفكير اللغوي في السبعينيات، ومنذ ذلك الوقت، تطورت كحقل مهم في الدراسة. وفي هذا الفصل، سنتابع الاتجاهات الأساسية في تطور البراغماتية الحديث - منذ بدايتها كموضوع "ثانوي-إضافي" بين أطراف الفلسفة واللغويات، إلى اهتمامها الأوسع حالياً في مجال التخاطب اللغوي في سياقه الاجتماعي والثقافي. وتحدد مجالات البراغماتية في العالم الناطق بالإنجليزية بشكل أضيق مما هو عليه الحال في القارة الأوروبية. نبدأ بالتراث الأمريكي - الإنجليزي حول البراغماتية، ونشير بعد ذلك إلى المجال الأوسع نسبياً والمميز في التراث الأوربي.

١. البراغماتية في التراث الإنجليزي - الأمريكي

يمكننا أن نصف البراغماتية، بشكل تقريبي، على أنها دراسة المعنى في الألفاظ اللغوية عند استخدامها ومفسريها. ومن المهم، فيما يخص أصلها، أن نعتبرها واحدة من ثلاثية دراسية ميزها الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس Charles Morris (١٩٣٨)، واستخدمها بعده علماء المنطق أمثال: رودلف كارناب Rudolf Carnap (١٩٤٢ - ١٩٥٥). والبراغماتية في هذا النمط من التفكير هي دراسة الرموز (والأنظمة الرمزية) وعلاقتها بمستخدميها، بينما يمثل علم الدلالة دراسة الرموز وعلاقتها بما تشير إليه، أما علم التراكيب/النظم فهو دراسة علاقة الرموز أو التعابير وعلاقتها ببعضها بعضاً. والحقول الدراسية الثلاثة هذه هي تقسيمات فرعية من "علم الرموز" وهو دراسة الرموز وأنظمتها، ولذلك ربما كان ممكناً تطبيق ذلك على دراسة الرموز المصطنعة مثل إشارات المرور أو الرموز المستخدمة في التخاطب بين الحيوانات، مقارنة

باللغة الإنسانية. ولكن، في الواقع، فقد طبق العمل في البراغماتية أساساً على اللغات الإنسانية أو "اللغة الطبيعية" كما اعتاد علماء المنطق تسميتها.

وقبل أن نترك التخاطب غير - الإنساني، دعنا نستخدمه لإعطاء توضيح مبسط للفرق بين علم التراكيب وعلم الدلالة والبراغماتية كمكونات من علم الرموز. ومثالنا المأخوذ من الدراسات المشهورة التي قام بها فون فريش Von Frisch، هو "الرقص اللغوي" الذي تشير به النحلة إلى موقع غبار الطلع ومصدره والرحيق للنحللات الأخرجات. إن البناء الحقيقي للغة الرقص - سلسلة الحركات - مسألة تخص علم التراكيب. أما دلالة الرقص الإشارية - الإشارة إلى اتجاه الطعام ومسافته.. الخ - فذلك من اهتمام علم الدلالة. أما الطريقة التي يوظف فيها الرقص بوصفه مظهراً من سلوك النحلة - كوسيلة لاستدعاء النحللات إلى مصدر الطعام، فتلك مسألة من اختصاص البراغماتية.

أما بالنسبة للفلاسفة وعلماء المنطق أمثال كارناب Carnap، فإن البراغماتية كانت السندريلا (شيء طال عليه الأمد وهو مهمل، فتاة لم يدرك ذووها مزاياها وصفاتها الفائقة إلا بعد وقت طويل) بين الحقول الدراسية الثلاثة. لقد كانت الصياغة الدقيقة للعلاقة بين الرموز وما تمثله أمراً مهماً في التفكير الإيجابي والتجريبي في منتصف القرن العشرين للوصول إلى التأكد من صحة شروط الخطأ و الصواب وتثبيتها. وقد كان علم التراكيب وعلم الدلالة على غاية كبيرة من الأهمية في هذا المشروع. إلا إن البراغماتية قدمت عنصراً مشوشاً صعب الصياغة يتألف من أمزجة مستخدم الرمز وسلوكهم ومعتقداتهم/مواقفهم. ومن هنا أصبحت البراغماتية عند بعض الفلاسفة وعلماء اللغة صندوق مهملات مناسب، حيث يمكن للمرء أن يلقي فيه مظاهر اللغة والتخاطب المربكة (وفي أغلب الأحيان ينساها) التي لا يمكن صياغتها في جمل حسنة الصياغة في عالم تراكيب ممتع وسليم، والتي لا يمكن لشروط صحتها وخطأها أن تصاغ وفق شروط دلالية سليمة.

وكما توحى الفقرات السابقة، فإن البراغماتية قد ولدت من تجريد الفلسفة أكثر من الحاجات الوصفية لعلم اللغة (وهذا، كما سنناقشه فيما بعد، يفسر جزئياً الصعوبات التي واجهها علماء اللغة عندما حاولوا تطبيق نماذج براغماتية على تحليل مقتطفات من الخطاب

الحي). وحتى عندما أصبحت البراغماتية جزءاً مهماً في اللغويات، كانت المعلومات عنها ، على الأقل في العالم الناطق بالإنجليزية، ما تزال تقدم في أعمال الفلاسفة أساساً. ويجب ذكر ثلاثة فلاسفة بوجه خاص على أنهم القوة الموحية للبراغماتية اللغوية أثناء تطورها في السبعينات وهم: ج. ل. أوستن J. L. Austin و ج. ر. سيرل J. R. Searl ، وهـ. ب. غرايس H. P. Grice، علماً - ومن الغرابة بمكان - أن مصطلح البراغماتية لم يظهر في أي عمل من أعمالهم .

ولقد ارتبط هؤلاء الفلاسفة الثلاثة بصللة وثيقة بالتراث الفلسفي في أكسفورد (على الرغم من أن المطاف انتهى بـ سيرل وغرايس مدرسين في كاليفورنيا). وكلهم ينتمون إلى مدرسة فلسفة "اللغة العادية" بالمقارنة مع كارناب الذي يمثل مدرسة "اللغة الرسمية" أي: أنهم كانوا مهتمين بالطريقة التي تعبر فيها اللغة الإنسانية الطبيعية عن المعاني، كطريقة لفهم طبيعة الفكر والمنطق والتخاطب. يمكننا أن نسميهم في الواقع "فلاسفة التخاطب"، لأن مصطلح التخاطب، وهو يربط اللغة باستخدامها في شرح رسائل المستخدمين للمفسرين، يقع في لب أعمالهم وفي قلب البراغماتية. ومع ذلك، فمن المهم فهم أن هؤلاء الفلاسفة، ومن خلال تفكيرهم كانوا متأثرين بشكل كبير بمنهج شروط الحقيقة في دراسة المعنى. وفي الحقيقة، إن إسهامهم كان بالضبط، إيجاد واكتشاف مشاكل، وقصور وإخفاق النموذج المعتمد على جداول شروط الحقيقة .

١.١ ج. ل. أوستن

إن كتاب أوستن الأصيل والهام (وهو إعادة صياغة المحاضرات التي أعدها لسلسلة من المحاضرات ألقاها في أكسفورد - هارفرد) كان: "How to do things with words" "كيف تفعل الأشياء بالكلمات"؛ وطبع عام (١٩٦٢). إن التأكيد الذي يضعه عنوان الكتاب على "فعل الأشياء" واضح في تمحيصه "لأفعال المتكلم الإنجازية" في الألفاظ التالية:

أستقيلُ

أنا أُسمي هذه السفينة بونيفيس

أراهنك على ١٠٠٠ جنيه إسترليني أنه سيخلي سبيلك .
وبموجب هذا فإنني أسلمك إشعار الطرد

إن مثل هذه الألفاظ صعبة المراس لأنها على الرغم من أنه لديها كافة الإشارات الخارجية التي تجعلها جملاً إخبارياً صريحة، تبدو وكأنها لا تمتلك قيمة للحقيقة المنطقية. وهكذا، فإنها تبدو أنها تفتقد إلى ما يعرف عادة بالسمة/الخاصية الأساسية في الجمل الإخباري. وقد أنكروا أوستن إمكانية اعتبار هذه الجمل صحيحة أو خاطئة من خلال برهانه بأن طبيعة هذه الجمل إنجازية وليست إخبارية، وذلك لأن معانيها تقترب من أداء عمل. ففي قول: "أستقبل"، فإن شخصاً يستقبل في الواقع، وفي قول: "بموجب هذا أعطيك إشعاراً .."، فإن شخصاً يقوم في الواقع، بفعل تسليم الإشعار .. الخ. إن الشروط المطلوبة من هذا النوع لتوضيح معاني هذه الجمل ليست شروط الصح أو الخطأ في الصيغة المنطقية (الحقيقة)، ولكنها "شروط الاستخدام" كما يسميها أوستن - أو شروط المناسبة (الملائمة).

وبالإضافة إلى شكلها الإخباري الصريح، فإن للأفعال الإنجازية عامة سمات نحوية تركيبية معروفة مثل فعل (من نوع محدد) في الزمن الحاضر، وفاعل متكلم - مفرد، وإمكانية إضافة الظرف "بموجب". إلا أن تقصي أوستن لهذه الأفعال قاده إلى نتيجة مفادها أن لمثل هذه الأفعال جميعها، وليس الإنجازية فقط، طبيعة الأداء. وعليه، يمكن للمرء إظهار الصفات الشبيهة بالأفعال للجمل الإخباري، والسؤال، والطلب .. الخ من خلال إضافة سابقة لها على شكل فعل إنجازي ضمني فمثلاً:

سُيدفعُ لك بالتأكيد غداً

(أي أعدك بأنه سوف يدفع لك بالتأكيد غداً)

كم الوقت ؟

(أي: أسألك أن تخبرني كم هو الوقت / كم الوقت؟).

كن هادئاً عندما أتكلم

(أي أمرك أن تكن هادئاً عندما أتكلم)

وحتى في الحمل الإقرارية المحايدة التي تعبر عن حقيقة مثل: تبني السمورات سدوداً. يمكن القول أن لها صيغة فعل إنجازي ضمني مثل "أنا أقول أن ..".

إن لمنهج دراسة المعنى القائل بأن الظواهر اللغوية هي أساساً أفعال أدائية أو إنجازات مميزة إيجابية على المناهج التي تعتمد قيم الحقيقة، لأنه يدعونا لتجاوز اهتمام عالم المنطق التقليدي المحدود بالمعنى الإخباري فقط. وقد دفع أوستن بهذه الفكرة خطوة للأمام عندما قال إنه يمكن للفظ الواحد أن يؤلف في الوقت ذاته ثلاثة أنواع من الحدث :

(١) حدث تعبير (التعبير): وهو فعل لفظ تعبير بدلالة ومعنى محددتين

(مثل: قال لي " أطلق الرصاص عليها " أعني بأطلق "أطلق " وهي " هي ")

(٢) حدث التحقيق : فعل إنجازي: الفعل المنفذ بـ/ أو بفضل تنفيذ

فعل التعبير، (على سبيل المثال : حثني، طلب مني، دعاني لإطلاق

الرصاص عليها)، بشكل يمكننا القول أن ما قيل كان له قوة

"التنفيذ/التحقيق" (على سبيل المثال، طلب أو دعوة).

(٣) حدث تأثيري: لفعل المنفذ من خلال أو بواسطة ما قيل:(على سبيل المثال:

أقنعتني أن أطلق الرصاص عليها).

لقد ركز أوستن على النمط الثاني من هذه الأحداث. أما النمط الأول (فعل التعبير) فينضوي تحت علم الدلالة المعتمد على شروط الحقيقة. ويقع النمط الثالث (التأثير) بدقة خارج تحريات المعنى واللغة لأنه يتعامل مع سبب اللفظ أو نتيجته: لأن تأثير كلماتي في "إقناع" شخص ما بإقراضي عشرة دنانير يعتمد على عوامل (نفسية -اجتماعية أو مادية) خارجة عن نطاق إرادتي، ولا يرتبط ذلك بما قلته إلا جزئياً. ويحتل النمط الثاني من الأفعال (التحقيق) الموقع الوسط بين النمط الأول والنمط الثالث: ويعتبر هذا الموقع الآن القطاع الخاص بالبراغماتية أي: المعنى في السياق. يمكن استخدام الأفعال المستخدمة في وصف الأفعال الحقيقية مثل "يدعي"، "يعد"، "يتوسل"، "يشكر"، "يصرح" على أنها أفعال إنجازية، ومن خلال هذا الربط، تمكن أوستن وتلميذه سيرل من التفكير بالبادئة الإنجازية: أتوسل اليك. . . كقوة حقيقية تشير إلى قوة التنفيذ (وذلك مصطلح يستخدم بشكل واسع الآن ليضم ليس

فقط المؤشرات اللغوية الصريحة للقصد أو الرغبة التحقيقية ولكن أيضاً المؤشرات غير اللغوية المصاحبة للغة (حركة اليدين والعينين .. الخ). وفي المقابل لا يمكن استخدام فعل نتيجة أو أثر مثل "يقنع" أو "يجرّض" كفعل إنجازي لأن "أنا (لذلك) أحتك أو أحرصك لتصوت ضد الحكومة" لفظ تافه لأنه يتضمن أن المخاطب تحت السيطرة الفكرية المطلقة للمتكلم.

٢.١ ج. ر. سيرل و"نظرية الحدث الكلامي الكلاسيكية"

لقد كان كتاب أوستن غير مترابط وجدلي ومسل (مثل معظم الكتب الفلسفية). وترك الأمر لسيرل كي يضيف انتظاماً أكبر على الأفكار التي تحراها أوستن بعمق. وفي كتاب آخر جدير بالقراءة بعنوان "الأحداث الكلامية: مدخل إلى فلسفة اللغة (١٩٦٩)", أخذ سيرل فكرة أن المعنى هو نوع من الحدث خطوة أبعد حيث وصل به الأمر لأن يدعي أن دراسة اللغة هي مجرد جزء فرعي من نظرية الحدث. وعلى الرغم من أن أسلوب سيرل ما زال هو الأسلوب غير الرسمي لفلسفة اللغة العادية، إلا إنه صقل مفاهيم الحدث التحقيقي والقوة التحقيقية إلى الحد الذي يمكن للمرء فيه أن يتكلم بعقلانية تامة عن "نظرية الحدث الكلامي" عند سيرل على أنها العمل "الكلاسيكي" الذي أُعتبر نقطة البداية لكل الأعمال اللاحقة حول الأحداث الكلامية. وأهمية عمله هذا بالنسبة للبراغماتية، مثل كتاب أوستن، هي أنه يتركز حول الأحداث التحقيقية والقوة التحقيقية (تفهم على أنها الوظائف أو المعاني المرتبطة بالأحداث التحقيقية). ولذلك عندما نستخدم مصطلح "نظرية الحدث الكلامي" في البراغماتية، فإننا نشير في الواقع إلى الأحداث التحقيقية.

لقد قدم سيرل تعاريف للأحداث الكلامية المتنوعة ضمن الشروط المطلوبة الواجب توفرها عند أداء حدث كلامي بشكل مؤثر/فعلي. ومقارنة بشروط "الاستخدام" عند أوستن، صيغت هذه ضمن أربعة أنواع من القواعد:

(أ) قواعد المحتوى الإخباري: تحدد نوع المعنى الذي يعبر عنه
بالقسم الإخباري من اللفظ (على سبيل المثال: على فعل "يعد" أن يشير
إلى حدث مستقبلي بالنسبة للمتكلم).

(ب) قواعد تحضيرية: تحدد الشروط المسبقة قبل أداء الحدث الكلامي (على سبيل المثال، بالنسبة لسيرل، ينبغي على المتكلم في حدث الشكر، أن يكون مدرراً أن المخاطب قد فعل شيئاً يعود بالنفع عليه).

(ت) قواعد الأمانة: تحدد الشروط التي يجب أن تتحقق إن كان على الفعل أن ينفذ بأمانة أو دقة. (فعلى سبيل المثال، كي يكون الاعتذار مخلصاً، يجب على المتكلم أن يتأسف على ما فعل. ويقول بعض المحللين أن فعل "اعتذر" هو فعل إنجازي يدل على صحته بنفسه، وهو مناسب دائماً، بغض النظر إن قيل بإخلاص أم لا.

(ث) قواعد أساسية : تحدد كيف يجب أن يحسب الحدث الكلامي عادة، على سبيل المثال: (إن الشرط الأساسي في "حدث التحذير" أن يحسب الشروع في عمل مستقبلي أنه لن يكون في صالح المخاطب).

وقد قال سيرل، أنه وفقاً لهذه الأنماط الأربعة من القواعد يمكننا تمييز أحداث كلامية مختلفة بسهولة (علماً أن الأعمال اللاحقة عن البراغماتية - انظر القسم ٥ فيما يلي - تشير إلى أن تأسيس أصناف منفصلة من الأحداث الكلامية يسبب مشاكل أكبر بكثير مما يدعونا سيرل لأن نعتقد). تصور على سبيل المثال، قواعد "الطلب" و النصح .

[ملاحظة: إن هذه القواعد مأخوذة من سيرل (١٩٦٩: ٦٦ - ٦٧).

(١) الطلب :

المحتوى الإخباري: عمل مستقبلي بالنسبة للمستمع

الشروط التحضيرية :

(أ) المستمع قادر على تنفيذ الفعل، يعتقد المتكلم أن

المستمع قادر على تنفيذ الفعل.

(ب) ليس واضحاً بالنسبة لكل من المتكلم أو المستمع أن المستمع سينفذ الفعل في الأحوال العادية وفقاً لمشيئته.

شروط الأمانة: يريد المتكلم أن ينفذ المستمع الفعل .

الشروط الأساسية: وهي محاولة حمل المستمع على تنفيذ الفعل .

(٢) النصح

المحتوى الإخباري: عمل مستقبلي بالنسبة للمستمع

الشروط التحضيرية:

(أ) يعتقد المتكلم لسبب ما أن الفعل سيفيد المستمع.

(ب) ليس واضحاً بالنسبة للمتكلم و المستمع أن المستمع سينفذ الفعل (أ) في الأحوال العادية.

شروط الأمانة: يعتقد المتكلم أن الفعل (أ) سيفيد المستمع.

الشروط الأساسية: محاولة هدفها جعل الفعل (أ) في مصلحة المستمع.

ولتوضيح الاختلافات بين هذه التعاريف، فقد أضاف سيرل التعليق الآتي :

"إن نصحك ليس محاولة لحملك على فعل شيء بمعنى الطلب منك ؛ فالنصح شيء يشبه إخبارك بشيء يكون في أفضل مصالحك."

يمكن فهم القوة الوصفية لهذه الشروط أو القواعد، مثل "شروط الاستخدام" عند

أوستن، من خلال إيجاد أمثلة تخالف هذه القواعد. فعلى سبيل المثال، لن يكون

الطلب صالحاً :

(أ) إذا لم يشر إلى عمل مستقبلي :

من فضلك، هل يمكنك الاتصال بي الساعة الخامسة يوم الثلاثاء الماضي ؟.

(ب) أو إذا لم يكن بمقدور السامع أن يؤدي الفعل (أ) :

هل تترجم هذه الرسالة إلى السواحيلية من فضلك ؟

(قيلت لشخص لا يعرف اللغة السواحيلية)

(ت) أو إذا لم يرد المتكلم من المستمع أن يؤدي الفعل (أ) .

من فضلك، اتصل بي في المكتب غداً.

(قالها شخص لا يريد أن يتصل به أحد، وفي الواقع لن يكون في

المكتب غداً، ففي هذه الحالة، سينفذ الطلب بشكل فعال، ولكنه لن

يكون أميناً).

(ث) أو إذا كان اللفظ لا يعتبر محاولة لحمل المستمع على أداء الفعل (أ) :

من فضلك، هلا توقفت عن الضحك !

(قالها كوميدي تلفزيوني في حالة كان القصد فيها واضحاً وهو إثارة الضحك).

سنوافق جميعاً أن "شيئاً غريباً" سيصغ الألفاظ المستشهد بها إذا قيلت تحت الظروف

أو الشروط التي وصفت.

تحاول نظرية الحدث الكلامي إرساء أنظمة لتصنيف أو تبويب الأفعال - أفعال

التحقيق. لقد اقترح أوستن مثل ذلك التصنيف في محاولة لتقليص، إلى حد ما، وفرة الأحداث

الكلامية المختلفة - التي قدر عددها ما بين ١٠٠٠ و ٩٩٩٩. وقد طور سيرل هذا التصنيف

عندما قسم الأحداث الكلامية (سيرل ١٩٧٩) إلى خمسة أصناف:

(I) التوكيدية: تلزم المتكلم بصحة محتوى إخباري معين (الإخبار، الإدعاء،

الإقرار والإعلان).

(٢) الإرشادية: تحسب كمحاولات لإحراز تأثير ما عبر فعل المستمع (مثل:

الأمر، والطلب و التوسل)

(٣) التعهديات: تلزم المتكلم بفعل مستقبلي: (على سبيل المثال: الوعد، العرض، أو القسم بفعل شيء ما)

(٤) التعبيرات: تحسب كالتعبير عن حالة نفسية معينة: (مثل: الشكر، الاعتذار، والتهنئة)

(٥) الإخبارية: وهي أحداث كلامية يؤدي تنفيذها الناجح إلى التناظر بين المحتوى الإخباري والواقع (مثل: تسمية سفينة والاستقالة وإصدار حكم، والطرود وتسمية المولود).

١. ٣ هـ. ب. غرايس: المنطق والمحادثة

إن ثالث فلاسفتنا هو هـ. ب. غرايس، وقد حاول، مثل سيرل، مجابهة مسألة كيفية اختلاف المعنى في التخاطب الإنساني العادي عن ذلك المعنى الدقيق المحدود الموجود في المعنى المتعلق بشروط الحقيقة. ففي حين اقترح سيرل ضم النموذج المعتمد على شروط الحقيقة تحت غطاء منهج يعتمد نظرية الحدث الكلامي، فإن غرايس كان مهتماً في شرح الاختلاف بين ما "يقال" وما "يعني". "ما يقال" هو ما تعنيه الكلمات ظاهرياً وغالباً ما يمكن شرحه وفق شروط الحقيقة. أما ما "يعني" فهو التأثير الذي يحاول المتكلم متعمداً إضفاؤه على المستمع أو المخاطب من خلال إدراك الأخير لهذا القصد. (انظر غرايس: ١٩٥٧). غالباً ما تكون هناك فجوة كبيرة بين هذين النوعين من الرسائل، يتألف أولهما من "المعاني الواضحة" الظاهرية فقط، بينما يحتوي الآخر معنى ضمناً أيضاً. لاحظ المحادثة الآتية بين شخصين:

أ: أين جانيت؟

ب: كانت تمشي باتجاه مكتب البريد منذ خمس دقائق.

إن جواب (ب) يروي تصرف جانيت قبل خمس دقائق من المحادثة فقط. إلا إنه في الواقع، يشرح، من خلال التضمين، أكثر من ذلك، أنه يتضمن أن (ب) يعتقد أن رغبة (أ) في معرفة أين جانيت يمكن أن تتحقق من خلال معرفة مكتب البريد أو جواره، ولو سألنا كيف نقل ذلك التضمين، فإن الجواب يأخذ في الاعتبار قضايا مثل: "المعرفة العامة" و "المعرفة

السياقية المشتركة". وهكذا نجد أن عبارة "مكتب البريد" تتضمن أن (ب) يتوقع من (أ) أن يقاسمه معرفة موقع مكتب بريد محدد (من المحتمل أن يكون الأقرب إلى موقعهما). وأكثر من ذلك، فإن التضمين في أنه يمكن لجانيت أن تكون في مكتب البريد الآن يعتمد على المعرفة المشتركة في أن مكتب البريد هو المكان الذي يمكن أن تجده لو سرت بضع دقائق عن موقع المحادثة (لن يكون هناك تضمين مشابه لو قال (ب): "إنهما كانت تمشي باتجاه غروب الشمس...!")

ولكن حتى مثل هذه التصورات لا تشرح عملية الاستدلال بشكل كامل على مثل هذه المعاني التحوارية: وحتى نعطي شرحاً معقولاً، علينا أن نفترض أن المتحادثين يراعون ما أسماه غرايس ١٩٧٥ بـ "مبدأ التعاون".

"اجعل إسهامك بقدر ما هو مطلوب، في المرحلة التي يحدث فيها، من خلال الغاية المقبولة للمناقشة التي تجريها".

يمكن توضيح مبدأ التعاون، المشار إليه آنفاً في أعم صورته، من خلال المبادئ الأربعة

الأساسية التالية :

مبدأ النوعية :

حاول أن تجعل إسهامك صحيحاً وخصوصاً فيما يخص الآتي :

(١) لا تقل ما تعتقده خطأً.

(٢) لا تقل ما يعوزك فيه البرهان الكافي.

مبدأ الكمية :

(١) اجعل إسهامك إخبارياً بقدر ما هو مطلوب لغرض المحادثة الجارية.

(٢) لا تجعل إسهامك أكثر إخبارياً مما هو مطلوب.

مبدأ العلاقة/المناسبة :

اجعل إسهامك على صلة مباشرة بالموضوع .

مبدأ الأسلوب/الكيفية :

كن واضحاً خصوصاً في :

- (١) تجنب الإبهام .
- (٢) تجنب اللبس .
- (3) كن مختصراً .
- (٤) كن منظماً .

ولو عدنا الآن لمثالنا، يمكننا شرح الاستدلال في أن جانيت يمكن أن تكون قريبة من مكتب البريد. ضمن شروط المبادئ الأساسية على النحو التالي :

- (أ) في الظاهر، إن رد (ب) ليس جواباً لسؤال (أ)، ولذلك يبدو (في الظاهر) أن لا علاقة له بالموضوع إلا أن مبدأ العلاقة/المناسبة سيقود (أ) للتوقع أن جواب (ب) على علاقة بالموضوع رغم ظهوره بعكس ذلك. ومن هنا، فإن (أ) ينظر لتفسير كيف يمكن لـ "شاهدتها تمشي باتجاه مكتب البريد منذ خمس دقائق" أن يكون على صلة بالموضوع. أما مبدئي النوعية والكمية فسيؤديان بـ (أ) للاعتقاد أن ما يقوله (ب) يعطي القدر الكافي من المعلومات للإجابة على السؤال، لو استطاع (ب) أن يعطي المعلومات بصدق. ولكن ماذا لو أن (ب) لا يعرف جواب السؤال ؟ عندئذ، فإن (ب) سيعطي المعلومات الصحيحة الممكنة فعلاً كي يساعد (أ) في إيجاد الجواب.
- (ب) وبناءً على المناقشة السابقة، بالإضافة إلى المعلومات العامة والسياقية المشتركة، فيمكن لـ (أ) أن يستدل بعقلانية أن (ب) لا يعرف أين جانيت الآن، ولكنه اقترح، وفق ما هو معروف، أن تكون جانيت قرب مكتب البريد. وأكثر من ذلك، فإنه من خلال مبدأ التعاون، يمكن لـ (أ) أن يفترض أن قصد (ب) كان نقل هذه الرسالة الضمنية.

ويظهر هذا التوضيح كيف يمكن الاستدلال عن معنى إضافي مما يقوله الناس بناءً على الاعتقاد أن الناس لا يعرفون معنى تعابير لغتهم فقط، ولكن لديهم معرفة عقلانية إنسانية عامة تحت تصرفهم.

ومثل أوستن، فإن غرايس يكتب في لغة غير رسمية وبأسلوب تحاوري؛ ويفسح المجال للتفسيرات اللاحقة الصحيحة منها والمغلوبة. فعلى سبيل المثال، اعتقد العديد من المعلقين أن مبدأ التعاون عند غرايس مبني على نزعة إنسانية تعاونية خيرة مفترضة. (انظر على سبيل المثال أبوستيل Apostel، ١٩٨٠، وكاشير Kasher، ١٩٧٦، ١٩٧٧، وكيفر Kiever ١٩٧٩ و برات Pratt ١٩٧٧، ١٩٨١، وسامبسن Sampson ١٩٨٢). ولكن لا يوجد هناك أي شيء أبعد من الحقيقة. إن مبدأ التعاون هو ببساطة وسيلة لشرح كيفية وصول الناس للمعاني. بالتأكيد، ليس هناك أي اعتقاد أو تصور أن الناس صادقين، ومخبرين أو يعنون ما يقولون بالضرورة. (من أجل مناقشة شاملة، انظر توماس Thomas، ١٩٨٦، الفصل الثاني). ومن هنا، وكما أشار غرايس، بإمكاننا ببساطة ألا نختار مبدأ التعاون؛ على سبيل المثال، يمكن أن نقرر الامتناع عن الإدلاء بأية معلومات نمتلكها بقولنا: "لا تعليق". أو يمكننا أن نخالف مبدأ ما عن غير قصد، أو يمكننا أن نخالف مبدأ آخر سراً، فعلى سبيل المثال، يمكن لـ (A) أن يقول عن قصد وخبث أن جانبيت قد ذهبت في الاتجاه المعاكس لمكتب البريد. والأهم من ذلك، يمكننا أن نخرق بوضوح صارخ أحد المبادئ (يسمى غرايس هذا الشيء بـ: الاستهزاء "بالمبادئ") كي نقود المخاطب للبحث عن معنى ضمني غير واضح. وهذا النوع الأخير من الاستغلال لمبدأ التعاون مهم عند غرايس فيما يسميه بـ "الاستتباع التحاوري" أي: الاستتباع البراغماتي الذي يكتشفه المخاطب من خلال افتراضه التزام المتكلم الضمني بمبدأ التعاون. إنه الخرق الصارخ للمبادئ الأساسية الذي يؤدي إلى توليد الاستتباع التحاوري في كل من الأمثلة التالية :

مبدأ الكمية

"في وقت التسجيل، كان كل أعضاء فريق البث من الإذاعة البريطانية"

[الاستتباع : واحد أو أكثر منهم ليس عضواً في فريق البث البريطاني الآن]

مبدأ الأسلوب /الكيفية:

الصحفي: هل لعبت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أي دور في مغادرة
دوفاليار؟ هل شجعتة فعلاً، على سبيل المثال، على المغادرة ؟
الناطق الرسمي: لن أحاول إبعادك عن ذلك الاستنتاج.

[الاستتباع : لقد لعبت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية دوراً ما على الرغم
من أن الناطق الرسمي ليس في موقع يسمح له بالالتزام بمثل هذه النتيجة]

مبدأ العلاقة/المناسبة

الضييفة: هل وصل الدكتور؟
باسل فولتي: ماذا تفضلين أن تشري ؟
الضييفة: يا باسل، هل وصل الدكتور؟
باسل فولتي: عصير اللوز؟

[الاستتباع : لا يرغب باسل في الإجابة عن السؤال]

وبشكل مشابه، يمكن شرح المعاني الضمنية في حالات السخرية والمعاني المجازية، على
الأقل في جزء منها من خلال الرجوع إلى مبدأ التعاون. فعلى سبيل المثال، يبدو المعنى الظاهري
للمثال التالي على أنه خرق لمبدأ النوعية (مأخوذ من فيلم للرسوم المتحركة بعنوان "حيات
القول")؛ المعنى الحرفي هو أن الأقارب المسنين (من أي جنس) ليسوا أعشاباً جافة:

"الأخوات الكبار هن سرطان العشب في مروج الحياة".

إن المعنى الضمني في أن "الأخوات الكبار لسن لطيفات ولديهن نزعاً للسيطرة"
يعتمد على الافتراض بأن ما هو مقصود يتصل بالمعنى الظاهري للكلمات، ولكنه مرتبط
بالموضوع أيضاً، وصحيح وإخباري.

واقترح ليفنسن Levinson في بحثه الهام والأصيل عام ١٩٧٩ "نماذج النشاط واللغة
" أن توقعات المشاركين لدرجة الاحترام أو التقيد بالمبادئ الأساسية ستتغير وفقاً لنموذج
التفاعل التي تحدث فيه.

"... يمكن في الواقع أن يكون هناك علاقة ما بين مبادئ غرايس الأساسية في
المحادثة وتوقعات محددة مرتبطة بنشاطات معينة. يفترض من مبادئ غرايس الخاصة بالتنوع
والكمية والأسلوب/الكيفية والعلاقة/المناسبة أن توضح شروطاً مسبقة للتبادل التعاوني
العقلاني للحوار. ولكن هناك شيئاً واحداً يمكن ملاحظته وهو أنه لا يمكن وصف كافة الأنماط
الكلامية على أنها تعاونية حقاً. خذ الاستجاب على سبيل المثال: ليس من المتوقع أن أياً من
الطرفين يتوقع أن يحترم الآخر مبادئ النوعية، والأسلوب/الكيفية وخصوصاً الكمية.

(ليفنسن، ١٩٧٩: ٣٧٤)

ويدي هارنش Harnish (١٩٧٩) و هولذكروفت Holdcroft (١٩٧٩). بملاحظات مشابهة:

"هناك.. العديد من الأمثلة المتنوعة المضادة، الحوار الاجتماعي بين الأعداء،
والمواجهات الدبلوماسية، واستجاب الشرطة لمشتبه به عنيد، ومعظم الخطابات السياسية،
والعديد من مؤتمرات الرؤساء الصحفية. ولا تمثل هذه سوى بعض الأمثلة لحالات لا تحترم
فيها المبادئ الأساسية مطلقاً، وتلك حقيقة معروفة أيضاً للمشاركين في هذه الأنماط من الكلام
".

(هارنش، ١٩٧٩: ٣٠٤ الملاحظة ٢٩).

وقد ذهب مارتنيك Martinich (١٩٨٤: ٣٣) باستباعات [وهذا تأكيدنا هنا]
تحديد نوع النشاط للمبادئ الأساسية خطوة أبعد، وطالب بضرورة إدخال صنف آخر من
المبادئ غير المنظورة مباشرة، سماه بـ "تعليق المبدأ" (انظر أيضاً ثوماس Thomas ١٩٨٦:
٤٤ - ٤٧):

"يمكن للمرء أن يعلق مبدأً .. فعندما يختار المرء ألا يحترم مبدأً معيناً، يبقى ذلك المبدأ فاعلاً، ولكن عندما يعلق المرء مبدأً أساسياً، يصبح ذلك المبدأ غير فاعل. إن المؤسسات التي تسمح بمبدأ التعطيل تعلق مبدأ "كن مختصراً" و "على صلة بالموضوع". وهكذا، فلو قال شخص: "هل سمعت بشيء ما عن .."، يمكننا أن نفترض ونحن على صواب أن مبدأ النوعية قد عُلّق.

١.٣.١ . الاستتباع

لقد كان مفهوم غرايس للاستتباع (أو الاستلزام البراغماتي) أهم إسهاماته في تطور البراغماتية. وتكمن أهميته في أنه يشكل نقطة تحول واضحة عن أنواع الاستدلالات الأخرى المسموحة في دراسة المنطق المبينة على شروط الحقيقة؛ وبشكل ملحوظ، التضمين المادي والاستلزام، وعلى غير شاكلة هذه الاستدلالات التي يمكن تعريفها بشكل تام ضمن شروط الحقيقة، فإن الاستتباع يعتمد على، أو يشير إلى، عناصر السياق. إلا إن غرايس يميز بين عدة أنواع مختلفة من الاستتباع. فالاستتباع التحاوري (الذي يعتمد على افتراضات المبدأ التعاوني) يتميز عن الاستتباع التقليدي (الاصطلاحي)، الذي يرتبط ببساطة، من خلال الاصطلاح، بمعاني كلمات معينة. فعلى سبيل المثال، تحمل "لكن" استتباعاً، لأي لفظ X ولكن Y؛ أن Y غير متوقعة لو حدثت X. على سبيل المثال: إنها تعيش وحيدة؛ ولكنها تتمتع بحياة اجتماعية نشطة.

تتضمن "لكن" هنا، بما أنها تعيش وحيدة، أنه لا يتوقع أنها تتمتع بحياة اجتماعية نشطة. وبدون ذلك التضمين، فإن "لكن" ستمتلك معنى "واو العطف" تماماً. وقد نقوش في الآونة الأخيرة (انظر مورغان Morgan ١٩٧٩) أن التمييز بين الاستتباع الاصطلاحي والاستتباع التحاوري لا يمكن الحفاظ عليه دائماً حيث أنه يمكن للألفاظ المستخدمة في صيغ الطلب المؤدب كما في: من فضلك، هل يمكنك أن ..؟ التي تحسب قوتها أولاً بواسطة الاستتباع التحاوري فقط ويمكن أن تصبح، عبر الاستخدام المتكرر، اصطلاحية.

ومثال آخر عن التحول من الاستتباع التحاوري إلى الاصطلاحي تزودنا به الجملة الآتية: "كان مقتصداً في قول الحقيقة". فعندما قال هذه الجملة السيد روبرت آرسترونغ في

المحكمة العليا في سدي أثناء قضية كتاب "ماسك الجواسيس"، فإن المعنى كان يمكن الحصول عليه بالاستتباع التحاوري الذي ولدّه حرق مبدأ الأسلوب/الكيفية. وقد تكررت هذه الحمل لدرجة أنها أصبحت "استعارة محنطة". على الرغم من أنه أنكر منذ ذلك الحين أي تضمين مقصود لتلك الجملة.

ويقيم غرايس تمييزاً آخرَ بين الاستتباع التحاوري العام والاستتباع التحاوري الخاص. والأول هو نموذج من الاستدلال يجري عادة دون الإشارة إلى حالة معينة. وهكذا نجد أن "ليس كل X ... تعد عادة بأنها تتضمن "بعضاً من X على الأقل". تخيل على سبيل المثال، أن (أ) كاتب مشهور يقابله (ب) في حفلة ما. فلو قال (ب) "لم أقرأ كامل كتبك". يمكن لـ (أ) أن يستنتج بشكل معقول أن (ب) يقصد القول ضمناً "لني قرأت بعضها على الأقل"، ويمكن أن يشعر بخيبة أمل معذورة لو اكتشف أن (ب) لم يقرأ أي كتاب من كتبه البتة.

تباين مثل هذه الحالات مع الاستتباع الخاصة التي تنشأ من ألفاظ محددة تحدث في حالات معينة. فعلى سبيل المثال:

أ: من شرب العصير كله .

ب: لقد كان جيف يستخدم غرفتك في غيابك.

يتضمن جواب (ب) أن جيف ربما أهى العصير، ولكن يعتمد هذا الاستنتاج على سياق محدد للغاية؛ وبالتحديد ذلك (بين أشياء أخرى) الذي زودنا به سؤال (أ).

وحق الاستتباع التحاورية العامة يمكن تمييزها عن حالات الاستدلال المنطقي حيث أنه يمكن حذفها بواسطة جملة تعارضها (ويستخدم مصطلح تقني للدلالة على ذلك وهو قابلية الفسخ، الإبطال أو الإلغاء). فعلى سبيل المثال، يمكن في مثالنا السابق "الكاتب المشهور"، أن يضيف (ب) بدون أن يناقض نفسه " .. في الواقع، لم أقرأ أياً منها" وبالتالي يلغي التضمين الذي يشتق عادة من عبارة "ليس كل".

٢. تطورات نظرية الحدث الكلامي في اللغويات

لقد سيرنا في القسم السابق الأسس الفلسفية التي جعلت من البراغماتية فرعاً من اللغويات. أما الآن فسنبحث في المسائل اللغوية التي دفعت بالبراغماتية إلى موقع بارز في السبعينيات. وموقفنا لم يزل ذاك المعتمد على التراث الإنجليزي - الأمريكي. ولكن مع تقدم علم اللغويات برز دور "ريادي" للنموذج الأمريكي المعروف بالقواعد التوليدية التحويلية. انظر الفصلين الثالث والرابع.

إن الفرع الأساسي من القواعد التوليدية التحويلية الذي كان فاعلاً في تطور البراغماتية اللغوية هو المدرسة الفكرية المعروفة بـ "علم الدلالة التوليدية" التي قادها طلاب تشومسكي السابقون المتمردون وهم روس Ross ومكاولي McCawley، وجورج ليكوف George Lakoff. إن المبدأ الأساسي في مدرسة علم الدلالة التوليدية هو أن المكون القاعدي الأساسي في القواعد التوليدية التحويلية مرتبط مباشرة بالبناء الدلالي. ونتيجة طبيعية لهذا التصور دمج النحو بالمعنى بحيث لا يمكن فصل الواحد عن الآخر في نهاية المطاف: حيث بدأ علم الدلالة مجرد المستوى "الأعمق" من النحو. إلا أن روح المغامرة نفسها التي قادت إلى وضع علم الدلالة في قلب القواعد أدت أيضاً إلى إدراج اهتمامات البراغماتية ضمن على الدلالة، وبالتالي، وعن طريق القياس، كجزء من علم النحو. وهكذا، بدأ التعامل مع المعنى كاملاً ضمن شروط تشكيلة البنية الشجرية "للنحو العميق" التراكيب التحتية".

٢. ١. مجال البراغماتية اللغوية

ومن أجل فهم أفضل لهذه المسألة، دعنا نحاول تعريف مجال البراغماتية ضمن اللغويات بدقة أكبر. لقد عرفنا البراغماتية، في مقدمة هذا الفصل، كمفسرة للمعاني التي تمتلكها الألفاظ بالنسبة لمستخدميها ومفسريها. وأبسط طريقة لتمييز علم الدلالة عن البراغماتية هي القول أن علم الدلالة مهتم بالمعنى كعلاقة ثنائية بين الشكل ومعناه: "X تعني Y"، (على سبيل المثال: أشعر بأنني جائع نوعاً ما "تعني، "أنا جائع"؛ في حين يمكن النظر إلى البراغماتية على أنها علاقة ثلاثية بين المتكلم، والمعنى والشكل/اللفظ: "S تعني Y بواسطة X" (على سبيل المثال، ففي قول "أنا جائع"، فإن المتكلم يطلب شيئاً ما ليأكله).

و بمجرد أن يدخل المتكلم إلى الصيغة، فمن العصب استبعاد المخاطب لأن اللفظ يستمد معناه بفضل نية المتكلم بإحداث تأثير معين على المخاطب. (وهذا المعنى، فإن صياغة غرايس للمعنى كما ذكرت آنفاً أساسية في البراغماتية.)

وأكثر من ذلك، فإن معنى المتكلم (كما رأينا في أمثلة الاستتباع (الاستلزام) لا يمكن أن ينفي الإشارة إلى سياق المعرفة العامة والخاصة التي يتقاسمها المتحدثون. ويجب على هذه أن تضم معرفة زمان ومكان اللفظ وأيضاً تفسير التعبيرات الإشارية مثل زمن الفعل، وأسماء الإشارة، والظروف مثل "هنا"، "هناك"، "الآن"، "عندئذ". وبالجملة، فإن مجال البراغماتية يجب أن يحدد بحالة كلامية لا تضم اللفظ (ما قيل)، والمتكلم، والمخاطب فحسب، بل المعرفة المشتركة لهذه العوامل الخاصة منها (عن الحالة مباشرة) والعامة. ويشار إلى هذه المعرفة المشتركة في أغلب الأحيان بـ "سياق" اللفظ.

والجدير بالملاحظة أن مجال البراغماتية قد قيد بطريقة مصطنعة عن طريق استثناء بقية عناصر الخطاب التي يشكل اللفظ جزءاً منها فقط. والواضح فإنه كي تكون المعرفة السياقية المشتركة شاملة، يجب أن تضم كافة المعلومات المشتقة بأية طريقة: عن طريق الاستدلال أو بواسطة التحليل المباشر لما قيل مسبقاً. وهذا المعنى، فإن البراغماتية تفترض في نهاية المطاف محيطاً خطابياً (كلامياً).

وهكذا نجد أن مجال البراغماتية فسيح للغاية. وفي الوقت نفسه، فإن بعض الأسئلة البراغماتية، مثل تفسير الأزمنة، والتعبيرات الإشارية مثل "هذا"، و"تلك" هي جزء لا يتجزأ من القواعد ولا يمكن استبعادها بسهولة من اهتمامات علماء الدلالة بغض النظر فيما إذا كانوا من أتباع النموذج التوليدي أو أي نموذج آخر. والآن، يمكننا أن نفهم، أنه في دخول مجال البراغماتية، فإن علماء الدلالة التوليديين قد فتحوا صندوق بندورا¹ من المصاعب الكامنة للغويات. إن الحدود الفاصلة بين علم الدلالة والبراغماتية ليست واضحة. هل يجب رسم

¹ - بندورا : امرأة أرسلها زيوس عقاباً للجنس البشري ، بعد سرقة بروميثيوس للنار، وأعطاهها علبة (pandora box) ما إن فتحها بدافع الفضول ، حتى انطلقت منها جميع الشرور والرزايا فعمت البشر ولم يبق فيها غير الأمل. (منير البعلبكي - المورد).

الحدود بينها؟. وإن كان الأمر كذلك فأين؟ إن كلاً من هذين السؤالين كانا وما زالاً يثيران الجدل.

وقد عاجلت مدرسة علم الدلالة التوليدية هذه المسألة من خلال إذابة البراغماتية ضمن الصياغة النحوية التي طبقوها مسبقاً على علم الدلالة. وإن ما سمي بالفرضية الإنجازية، التي كان روس (١٩٧٠) أحد أبرز أعلامها، قالت إن هناك وراء كل جملة (أي في "البنية النحوية التحتية" أو البناء الدلالي لكل جملة) عبارة تسيطر على كل شيء آخر في الجملة، يكون الفاعل فيها المتكلم، والفعل هو الفعل الإنجازي، ويمثل المفعول به غير المباشر (إن كان موجوداً) المستمع. ويتناظر المفعول به المباشر مع الجملة نفسها كما تظهر نفسها في الكلام أو الكتابة. وبناءً على ذلك، يعتقد أن الجمل في (أ)، (ب) و (ت) أدناه تمثل البنى التحتية للجمل (أ) و (ب) و (ت).

(أ) العشاء جاهر	(أ): أوكد [أن العشاء جاهر]
(ب) كم الوقت	(ب): أسألك [كم الوقت]
(ت) اغلق الباب	(ت): أمرك [أن تغلق الباب]

ولشرح كيفية اشتقاق الجمل (أ - ب - ت) من (أ - ب - ت) تم صياغة تحويلة خاصة، تحذف البادئة الإنجازية "أسألك.. الخ". وبما أنه يعتقد أن الجمل ذات البنى التحتية المماثلة لديها المعنى نفسه، ضمن إطار الدلالة التوليدية، فإن تحويلة الحذف هذه تزودنا بتفسير رسمي لإدعاء اوستن وسيرل أن الألفاظ الإنجازية لها المعنى نفسه (أو القوة التحقيقية نفسها) كمثيلاتها اللاإنجازية.

وضمن البراهين الأخرى التي تدعم الفرضية الإنجازية تقع مؤشرات الإشارة السياقية مثل الضمائر الشخصية (الأول والثاني). فعلى سبيل المثال، يكشف روس عن شذوذ نحوي واضح - وبالتحديد، إن الجمل المحتوية عبارة as for X -self قواعدية في حالتين (أ) إن كان X- self الضمير الشخصي الانعكاسي الأول، (مثل: بالنسبة لنفسي)، أو (ب) إن كانت تتقاسم المدلول مع فاعل العبارة الأعلى. وإلا (ت) فستكون الجمل غير قواعدية. إن الحالات الثلاث موضحة في الآتي:

- (أ) بالنسبة لنفسه: استمتعت باللعبة.
 (ب) يدعي جيمس، بالنسبة لنفسه، بأنه استمتع باللعبة.
 (ت) * بالنسبة لنفسه، فإن جيمس استمتع باللعبة .

إن هذا الشذوذ الواضح سينتفي تماماً، لو تصورنا، مع روس Ross، أن البنية التحتية في (أ) كالتالي:

(أ) أدعي، [بالنسبة لنفسه] أنني استمتعت باللعبة .

-لأن الضمير الانعكاسي [نفسي] يعود، مثل نفسه في (ب) على فاعل الجملة الأعلى.

على الرغم من أن البراهين المستقاة لدعم الفرضية الإنجازية كانت بارعة ومثيرة للإعجاب إلا أنها سببت كماً هائلاً من الانتقادات بما في ذلك الدليل الآتي المعاكس الذي قدمه روس نفسه. وبما أن الفرضية الإنجازية تدعي أنه في عبارات as for X -self، فإن X-self تنقسم العلامة الدلالية مع فاعل العبارة الأعلى، فماذا يمكننا القول عن تعبير إنجازي صريح مسبق بـ (بالنسبة لنفسه) كما في المثال الآتي :

بالنسبة لنفسه، فإنني أعد أن النقود ستدفع ثانية غداً.

وبما أن هذه الجملة قواعدية، فلذلك لا بد من وجود جملة أعلى (من المعتقد تعبير إنجازي محذوف) تعود عليه كلمة "نفسه":

أؤكد، بالنسبة لنفسه، أني أعد أن النقود ستدفع ثانية غداً .

ولكن بمجرد أننا قبلنا بأكثر من تعبير إنجازي واحد محذوف - فإن عملية حذف التعبير الإنجازي تتكرر، وبالتالي يجب قبول إمكانية عدد كبير من التعابير الإنجازية مع إمكانية حذفها:

أؤكد أن، أؤكد أن، أؤكد أن، أؤكد أن

وهذا نوع من قياس الخُلف^٢ على الفرضية الإنجازية كمحاولة لجعل الأحداث التحقيقية جزءاً من القواعد. وهناك قياس آخر يمكن صياغته على النحو التالي: لو كانت كل جملة تفترض في بنيتها التحتية فعلاً إنجازياً، يجب، عندئذ، على قطعة نثرية إخبارية، كموضوع في موسوعة، أن تضم الفعل الإنجازي نفسه مكرراً إلى حد التقزز في بداية كل سلسلة طويلة من الجمل. ومما يجعل الأمر أكثر سخرية أن مواضيع الموسوعات العلمية هي من النوع النثري اللاشخصي الذي يتجنب الإشارة إلى ضمير الشخص الأول.

وعلى الرغم من أن مبعث الفرضية الإنجازية كان التفكير، جزئياً، بالأفعال الإنجازية عند اوستن وسيرل، فمن المدهش أن نرى أن سيرل (١٩٧٩ ج) يعارضها أو ينتقدها بقوة. وتفسير ذلك ببساطة هو أن نظرية الحدث الكلامي عند سيرل كانت محاولة لدمج علم الدلالة في البراغماتية، في حين كانت الفرضية الإنجازية محاولة لدمج البراغماتية في علم الدلالة (وبالتالي ضمن علم النحو). فعلى الرغم من تشابه العمليتين ظاهرياً، إلا أن وجهتي نظر روس وسيرل مختلفتان كلياً في الواقع.

يمكن أن نميز بين هذين الموقفين المتعارضين كـ "البراغماتية" و "الدلالية" على التوالي، فكلاهما ينفي، ولأسباب مختلفة، أن هناك حداً فاصلاً فاعلاً بين علم الدلالة والبراغماتية. وموقف ثالث يمكن أن نسميه بـ "التكاملي" يقول بوجود وجود ذلك الحد الفاصل، وبالتالي ينظر إلى البراغماتية وعلم الدلالة على أنهما مختلفان عن بعضهما البعض، ولكنهما وثيقا الصلة ضمن مجالات التحقيق. وتحليل تكاملي للأفعال الإنجازية أمر ممكن (انظر على سبيل المثال، كيمبسن Kempson، ١٩٧٥: ٣٨-٤٠) وقد أعطى اسم "الوصفي" (انظر هارس Harris، ١٩٧٨، وايدموندسن Edmondson، ١٩٧٩). ووفقاً لهذا التحليل، فإن الألفاظ الإنجازية هي تماماً كما تبدو إقرارية الشكل وإخبارية المعنى. وهكذا، (وعلى الرغم من اوستن) فقد نوقش بأنه يمكن إعطاء هذه الألفاظ قيم شرط الحقيقة، إلا أن تلك القيمة تكون حقيقية دائماً؛ فالألفاظ الإنجازية "انعكاسية من وجهة نظر براغماتية"، أي: أنها

(٢) قياس الخلف: قياس أساسه البرهنة على صحة المطلوب بإبطال نقيضه أو فساد المطلوب بإثبات

نقيضه (مق) (المورد، منير العليكي)

تشير إلى حالتها الكلامية نفسها (انظر ليش ، ١٩٨٠). وبالتالي فهي تؤكد صحة نفسها بنفسها. فلذلك، لو قال مدعى عليه "أنا لست مذنباً" - فيجب أن نعطي هذا اللفظ قيمة "صح" "لأنه قال ذلك حقاً" حتى ولو أننا نعرف انه مذنب. والحال نفسه مع الألفاظ التي تحتوي على: "أعتذر، وأعترض ، وأقول إنه كاذب، وأعطيك كلمتي. وألفاظ أخرى أكثر إشكالاً هي الإنجازية الشعائرية مثل: "أحكم عليك بعشر سنوات أعمال شاقة"، "أسمي هذه السفينة". . . . "أعدك". .. "أعلنكما الآن زوج وزوجة". أو ما يسميه هانشر Hancher (١٩٧٩) "الأحداث التحقيقية المتعاونة" أي: أحداث كلامية مثل التحدي، والمراهنة، والتعيين التي تضم أكثر من مشارك راض أو موافق. ووفقاً لأحد هذه التحليلات فإن لفظاً إنجازياً مثل "أعلن أنكما زوج و زوجة" يمكن أن يعطي قيمة "خطأ" لو تبين أن المتكلم لا يتمتع بموقع يؤهله من إتمام عقد القران. وهذا بدوره يعني أن فرص رفض أو إنكار صحة الأحداث أو الألفاظ الإنجازية هي نادرة الحدوث من وجهة نظر براغماتية: ومن هنا فإن صحتها أمر لا جدال فيه. أما التحليل البديل فيقول إن هذه الألفاظ "صحيحة" ولكنها "غير ناجحة".

وبأفول عقد السبعينيات - وقع نموذج علم الدلالة التوليدية تحت وطأة نقد مكثف، وأضحى النحاة يفضلون موقفاً تكاملياً. وكان عمل غرايس حول الاستتباع التحواري الحافز لهذا التطور. إن معالجة غرايس لمعاني الأحداث المنطقية مثل "أو" و "إذا" قد مكنت اللغويين من رؤية كيفية إمكانية رسم حد فاصل معقول بين علم الدلالة المنطقي والبراغماتية ؛ وكذلك إمكانية مقارنة المجال القواعدي الذي تحكمه قواعد صارمة مع الترتيب الحر لمبادئ البراغماتية (مثل المبدأ التعاوني ومبادؤه الأساسية) والاستدلال البراغماتي المعتمد على المحاكاة العقلية البسيطة بدلاً من الاستدلال المنطقي الصارم.

يمكن ملاحظة مثالين لتطور هذا الحد الفاصل بين البراغماتية وعلم الدلالة في دراسة الافتراض المسبق، والأحداث الكلامية غير المباشرة التي تأتي عليها الآن.

٣. الافتراض المسبق

إن دراسة الافتراض المسبق هي الأخرى كانت بارزة في بداية الثمانينيات، عندما بدأت الشروحات البراغمية تؤخذ جدياً كبداية للشروحات الدلالية في دراسة المعنى. سنمر هنا بسرعة بهذا الموضوع المعقد نسبياً.

غالباً ما يرتبط مصدر دراسة الافتراض المسبق في السنوات الأخيرة بأعمال فيلسوف آخر من أكسفورد وهو ستروسن Strawson (١٩٥٢) الذي أعاد تقديم المفهوم الذي طرحه عالم الرياضيات الألماني فريجه Frege عام (١٨٩٢). ومرة أخرى، فقد بدأ الموضوع كمسألة تتعلق بعلم الدلالة المعتمد على شروط الحقيقة. فعندما ننطق جملة مثل :

(١) إن ملك فرنسا عاقل.

يبدو وكأننا نسلم بصحة:

(٢) هناك ملك بفرنسا الآن.

إلا إننا عندما ننفي صحة (١)، فإننا لا ننفي بالضرورة صحة (٢). أي: إن صفات الافتراض المسبق الأساسية المحددة، كما هي موضحة في (٢)، تبقى غير متأثرة أثناء نفي الجملة المفترضة. ولذلك فإن (٢) هي افتراض مسبق ليس لـ (١) فحسب، بل و (١.أ).

(١.أ) إن ملك فرنسا غير عاقل .

بالإضافة للوصف المحدد كما في "ملك فرنسا"، فهناك نطاق واسع من الظواهر الدلالية والقواعدية الأخرى التي لها افتراضات مسبقة مرتبطة بها :

(٣) ما أزعجني في جيم هو نفاقه / أنه منافق .

(٣.أ) نفترض مسبقاً: شيء ما أزعجني في جيم.

(٤) كان قبطان أرسنل عندما كان أفضل فريق في البلد.

(٤.أ) نفترض مسبقاً: كان أرسنل أفضل فريق في البلد.

(٥) لدى توم مجموعة طوابع بريدية تذكارية أفضل من مجموعتي.

(٥.أ) نفترض مسبقاً: لدي مجموعة طوابع تذكارية.

(٦) تعرف ماري أن الأرض كوكب شمسي .

(أ.٦) نفترض مسبقاً: الأرض كوكب شمسي.

وأثناء صعود علم الدلالة التوليدي، فقد ساد الاعتقاد بأن الافتراض المسبق، كالقوة التحقيقية، يمكن معالجته ضمن شروط دلالية نحوية محضة. ونقطة بداية مفضلة ضمن هذا الاعتقاد هي أنه يمكن إذابة الافتراض المسبق جزئياً ضمن شروط الاستتباع/ الاستلزام. فالقول إن قول P يستلزم قولاً آخر Q يعني تماماً أنه إن كان P صواباً فمن الضروري أن يكون Q صواباً أيضاً. ويبدو هنا أن هذا ينطبق بالتأكيد على ما حدث في (٣ - ٦ أ) آنفاً. إلا أن الافتراض المسبق علاقة أقوى من الاستلزام وحقيقة أن الافتراض المسبق يبقى غير متأثر بالنفي يمكننا (وفق هذا النمط من التفكير) من الادعاء بأن (P نفترض مسبقاً Q) تساوي تماماً ما يلي:

لو كانت P صحيحة ، فعندئذ، يجب على Q أن تكون صحيحة بالضرورة.
لو كانت (لا - P) صحيحة ، فعندئذ، يجب على Q أن تكون صحيحة بالضرورة.

ومن هنا، يمكن القول فيما يخص (٦) و (٦. أ) على سبيل المثال، أنه إن كانت (٦) نفترض مسبقاً (٦. أ) عندئذ:

لو "تعرف ماري أن الأرض كوكب" قول صحيح ، عندئذ.
"الأرض كوكب" قول صحيح ، وكذلك:
لو "لم تعرف ماري أن الأرض كوكب" قول صحيح ،
عندئذ. "الأرض كوكب" ما زال قولاً صحيحاً .

إلا إن ذلك تعريف قوي للغاية للافتراض المسبق على المستوى النظري ومستوى الملاحظة. وبما أن P أو نفيها لا - P صحيحة في أي وقت، فإن ذلك التعريف يتضمن أن كافة الافتراضات المسبقة هي دائماً صحيحة. وأكثر من ذلك. فمن الواضح أنه يمكن إلغاء الافتراض المسبق أحياناً بمجرد لفظ نفي الجملة. فعلى سبيل المثال، يمكن للآتي أن لا يكون تناقضاً:

ملك فرنسا غير حكيم - لأنه لا يوجد ملك في فرنسا أساساً.

أو :

لا يمتلك توم مجموعة طوابع أفضل من مجموعتي، لأنني - في الواقع - لا أمتلك أية مجموعة طوابع على الإطلاق.

وتذكرنا حقيقة إمكانية إلغاء الافتراضات المسبقة، في الأقوال المنفية، (أي إلغاؤها بواسطة السمات/المعالم السياقية) بإلغاء الاستتباع التحويري (راجع ما ذكر آنفا...) وتقترح أنه لا يمكن التعامل مع الافتراض المسبق كظاهرة دلالية بحتة: أي أنها تشاطر الاستتباع بعض صفاتها.

وقد اقترح مثل هذا الاستنتاج ستروسن في معالجته للافتراض المسبق، وادعى أن قول A يفترض مسبقاً قول B إذا وإذا فقط كانت B شرطاً مسبقاً لصحة أو عدم صحة A . فلو عدنا لمثال "ملك فرنسا" ثانية، فيمكننا أن نوضح ذلك بقولنا إن قول "يوجد ملك في فرنسا" هو: شرط مسبق لصحة أو عدم صحة "ملك فرنسا حكيم". دعنا نفترض في متابعة هذا النمط من التفكير، أنه في لحظة نطق هذه العبارة لا يوجد ملك في فرنسا على قيد الوجود، عندئذ، سيكون الاستنتاج، وفقاً لستروسن، أن الجملة ليست صحيحة وليست خطأ في الوقت ذاته. إنها ليست جملة إخبارية البتة. وبما أن المنطق يسمح عادة بقيمتين من الحقيقة فقط (الصح والخطأ)، لذا يمكن تفسير ذلك بطريقتين: الأولى - الطريقة المنطقية - ونفترض، بالإضافة لقيمتي الصح والخطأ، أن هناك حالة ثالثة وهي أن الفكرة (القول) ليس صواباً وليس خطأً، وينطبق هذا الحالة على الحالة قيد الدرس. (و يسبب هذا إعادة تفكير كبيرة في المنطق كسي نسمح بثلاث قيم للحقيقة، أو ثغرات في جداول القيم). و نفترض في الطريقة الثانية، لتفسير موقف ستروسن، شيئاً مثل موقف أوستن حول الأحداث التحقيقية، أي: أن القول (أو التأكيد) هو نوع من الحدث التحقيقي يمكن تنفيذه بنجاح فقط إذا توفرت شروط مناسبة معينة. ووفقاً لهذا الافتراض، الذي يبدو أكثر قبولاً، من إعادة النظر في المنطق كاملاً، فإن الافتراض المسبق عند ستروسن يصبح شرطاً براغماتياً على تنفيذ الأحداث الكلامية.

وقد جرت عدة محاولات في منتصف السبعينيات وأواخرها لمعالجة الافتراض المسبق ضمن ما أسميناه إطار العمل التكاملي. وقد رفض كل من ويلسن (Wilson) (١٩٧٥) و كيمبسن (١٩٧٥) المحاولات "البراغماتية" و"الدلالية" لإيجاد صيغة موحدة للافتراض المسبق، وقالوا أن بعض مظاهر ظاهرة الافتراض المسبق تستلزم شرحاً دلاليّاً وبعضها الآخر يستلزم شرحاً براغماتياً. و بقي شيء وحيد غير واضح وهو كيف يرتبط الافتراض المسبق ببعض الأشكال القواعدية أو الدلالية المحددة: على سبيل المثال: في بعض العبارات الاسمية المعرفة، وفي تكلمات أفعال اليقين مثل "يعرف" و "يدرك". ولم يكن واضحاً أيضاً كيف يمكن اشتقاق الافتراضات المسبقة لجملة أو لفظ كامل من الافتراضات المسبقة المرتبطة بأجزائه المختلفة. واحتوت إجابات جازدار (Gazdar) (١٩٧٩) على هذه المسائل باشتقاق الافتراضات المسبقة المحتملة من شكل الجملة، وبعد ذلك استخلاص الافتراضات المسبقة الحقيقية من تلك الجمل ضمن السياق بمساعدة العوامل البراغماتية بما في ذلك الاستتباع التحويري. ونجد هنا، مرة ثانية، مثلاً عن الموقف التكاملي الذي يمكن تطبيقه على مسألة يظهر فيها الحل المعتمد على شروط الحقيقة الدلالية غير مناسب أبداً .

٤ . الأحداث الكلامية غير المباشرة

لقد جلبت دراسة الأحداث الكلامية غير المباشرة (أو التحقيقات غير المباشرة) معها تحدياً لكل من النظرية الكلاسيكية للأحداث الكلامية عند سيرل والتصور "القواعدي" للأحداث الكلامية وفق ما قدمته الفرضية الإنجازية .

والأحداث الكلامية غير المباشرة وفق كلمات سيرل (١٩٧٩) هي: "حالات ينفذ من خلالها حدث تحقيقي بشكل غير مباشر بواسطة حدث آخر". وأمثلة مشهورة عن ذلك هي الطلب المؤدب الذي يبدو في ظاهره سؤالاً:

(١) هلاً أعطيتني الملح من فضلك؟

(٢) هلا جلست هناك؟

(٣) هلا تفضلت بتوقيع هذه الورقة من فضلك؟

والجمل الإخبارية التي تبدو أسئلة في ظاهرها أيضاً (وتسمى عادة بالأسئلة الاستنكارية):

- (٤) من يهتم ؟. (لا أحد يهتم)
(٥) ألم أخبرك بأن تكون حريصاً ؟. (لقد أخبرتكَ. .).

وقد أعطى صادوك (١٩٧٤)، في محاولة منه لتفسير هذه الأنواع من الجمل وفق وجهة نظر علم الدلالة التوليدية، هذه الجمل أسماء (Whimperatives الأسئلة الأمرية) و (queclaratives الأسئلة الإخبارية) في إشارة واضحة منه للوضع المهجين لهذه الجمل. وقد يشار بصراحة، في بعض الأحيان، لهذه الوضعية في الجملة من خلال استخدام واسمة-الطلب - من فضلك " كما في (٣) آنفاً. إلا أن ظاهرة "القوة التحقيقية غير المباشرة" أكثر تنوعاً وانتشاراً مما تقترحه بعض الأمثلة النوعية المشهورة. فجملة إخبارية مثل: "هذا عمل عطشان" ؛ يمكن أن تمتلك قوة تحقيقية خفية، في سياق محدد، تعني طلب الماء للشرب. ومن النادر أن تجد جملة لا يمكن استخدامها كحدث كلامي غير مباشر إن وجد السياق المناسب .

وقد اقترحت العديد من الطرق لتفسير العلاقة بين القوة المباشرة وغير المباشرة في مثل هذه الألفاظ. وقد اقترح ليكوف و غوردن (١٩٧١)، من وجهة نظر علم الدلالة التوليدية ، بعض "المبادئ أو المسلمات التحوارية" ، أو قواعد براغماتية تعمل على مستوى البنى التحتية للجمل. وعلى الرغم من أن هذه المبادئ خاصة في جوهرها، إلا أنها حققت بعض التعميمات المفيدة في بعض الأحيان. وهذه واحدة من أكثرها فائدة:

"يمكن للمرء أن يحقق طلباً من خلال (أ) تأكيد شرط أمانة يعتمد على المستكلم أو (ب) طرح تساؤل حول شرط أمانة يعتمد على السامع ."

ينطبق القسم (أ) على أمثلة مثل: أرغب أن تناولي الملح. بينما ينطبق القسم (ب) على أمثلة مثل: هل يمكنك أن تناولي الملح. من الواضح أن هذه المسلمات تؤدي إلى شروط المناسبة و الأمانة عند سيرل و أوستن .

ومنهج ثان تفحصه صادوك وآخرون (١٩٧٤). (بعض المساهمين مثل كول Cole و مورغان Morgan ١٩٧٥). حاول أعلام هذا المنهج توسيع الفرضية الإنجازية لتشمل الأحداث الكلامية غير المباشرة، بحيث تمثل قواها الإنجازية التحتية أو الكامنة "بالنحو العميق". وهكذا نجد أن البنية التحتية في المثال الأول آنفاً هي فعل إنجازي مثل:

"أطلب منك [أن تناولني الملح]". ووفقاً لهذا المنهج، فإن العلاقة بين القوة التحقيقية المباشرة وغير المباشرة تفسر من خلال قواعد تحويلية، وتعامل على أنها مثال منحرف للعلاقة النحوية بين البنية التحتية والنية السطحية. إلا أن هناك، على أية حال، مصاعب تقنية ونظرية في هذا المنهج، فمن ناحية تقنية، نجد من الصعوبة بمكان إيجاد اشتقاقات تحويلية لبناء تركيب استفهامي مثل: "هل يمكنك أن تناولني الملح من فضلك" من فعل إنجازي توكيدي مثل:

"أطلب منك. . . "أما من الناحية النظرية، فإن المشكلة في هذا المنهج، كما هو الحال عند غوردن وليكوف، هو أنه لا يعطي شرحاً أو تفسيراً لماذا يجب على: "هل يمكنك أن تناولني الملح؟" أن تكون شكلاً معقولاً لصيغة الطلب. فمن وجهة نظر الفرضية الإنجازية، فإن ذلك مجرد حقيقة عشوائية شاذة، إلا أنه من الممكن من وجهة نظر غرايس إعطاء أسباب لماذا تجد من الأنسب إذا رغبت من شخص أن يقوم بشيء ما من أحلك، أن تسأله فيما إذا كان ممكناً بالنسبة له فعل ذلك أم لا .

ويعطي سيرل (١٩٧٩) تفسيراً للأحداث الكلامية غير المباشرة يحاول فيه التغلب على هذه النواقص. ويقوم بتفسيره على أن العلاقة بين القوة التحقيقية غير المباشرة وقوتها التحقيقية الظاهرة مشابهة لتلك العلاقة القائمة بين "ما قيل" وما "قصد، تمني" عند غرايس، ولذلك لا بد من توفير تأويل مشابه، ضمن شروط مبدأ التعاون، وكذلك قواعد الحدث الكلامي .

وبديل يشبه منهج غرايس في معالجة الأحداث الكلامية غير المباشرة هو ذاك الموجود في ليش Leech (١٩٨٠) الذي يقول بوجود التميز بين "معنى" اللفظ (تفسيره الدلالي) و"قوته" (تفسيره البراغماتي). وفيما يخص الأحداث الكلامية غير المباشرة، فإن معناها محدد "بتفسيرها الظاهري"، وقوتها بـ "التحقيق غير المباشر". ووفقاً لوجهة النظر هذه، فإن: "هل

يمكنك أن تناولي الملح؟" هي جملة استفهامية في معناها الدلالي، ولكنها توجيهية في قوتها. ويشدد اقتراح ليتش على حقيقة أن اللامباشرة هي مسألة تدريجية تعتمد على مقدار الاستدلال الذي يجب اعتماده لاشتقاق القوة من المعنى الدلالي. ولشرح عملية الاستدلال هذه، فإنه لا يجب استخدام مبدأ التعاون فحسب، بل يجب التعامل مع مبادئ براغماتية أخرى أهمها مبدأ "التأدب". وضمن شروط التقسيم الثلاثي الذي ذكر آنفاً في القسم الثاني، فإن شرح ليتش للأحداث الكلامية غير المباشرة هو "تكميلي"، يقسم عبء الشرح بين علم الدلالة (المعنى) والبراغماتية (القوة). وفي المقابل، فإن شرح صادوك، ضمن شروط الفرضية الإنجازية، هو في الأساس "دلالي" (على الرغم من أنه يعترف بأنه يجب شرح بعض الحالات براغماتياً). في حين أن موقف سيرل هو براغماتي في صلبه.

وفي منتصف السبعينيات، تغير محور الاهتمام ضمن البراغماتية من محاولات شرح "كيف" يفسر مستخدمو اللغة "اللامباشرة" في المعنى البراغماتي" إلى شرح "لماذا" يستخدم المتكلمون "اللامباشرة" نفسها في المقام الأول. وتمثل إحدى محاولات شرح ذلك أنه "لا توجد، بالطبع، القدرة الكافية" لدى المتكلمين في التعبير عن أنفسهم بشكل مباشر (ويمكن لهذه الحالة أن تتضمن تعابير المفاهيم المركبة أو المجردة مثل "اللاهائية"، أو تعابير العواطف القوية مثل الحب أو الحزن). وفي حالات أخرى، يجب أن نفترض أن المتكلم يحصل على الميزة التخاطبية الاجتماعية من خلال توظيفه لعملية غير المباشرة. ويمكن العثور على ملخص ممتاز لما اقترحه علماء البراغماتية حول دوافع غير المباشرة في التخاطب الكلامي في داسكال Dascal (١٩٨٣): ١٥٨ - ١٦٣. ومن أهم هذه الدوافع الآتي:

غالباً ما يقع المتكلمون في مسألة "تصارع أو تشابك الأهداف" (فمثلاً، ربما احتاج طبيب أن يشرح بوضوح تام مدى خطورة حالة مريض لديه دون أن يبدو غير إنساني أو غير مكترث) وكذلك مبدأ "العقلانية التجريبية/الوسيلية" (حيث يعرف المتكلم من تجربته أن استخدامه الأسلوب اللامباشر ربما كان الأنجح).

وكذلك يحدث أن المتكلم يرغب "في قول وعدم قول شيء في الوقت نفسه". ولذلك فمن خلال استخدام الأسلوب غير المباشر، يمكن للمتكلم أن يقول شيئاً ويعني شيئاً آخر، وبذلك يترك لنفسه/نفسها فرصة الانسحاب من المأزق في حالة ردة فعل غير متوقعة.

وكذلك مفهوم "المتعة" (حيث يعالج التيري Altieri ١٩٧٨ أن المتكلمين قد يستخدمون الأسلوب غير المباشر لمجرد المتعة، أو كي يبدو أكثر متعة وتشويقاً لدى السامع).

إلا أن الشرح الأكثر شيوعاً لسبب استخدام الأسلوب غير المباشر هو لأسباب تتعلق "باللطافة والتأدب". ومن المهم أن نذكر هنا أنه لا يستخدم جميع الكتاب مصطلح التأدب واللطافة بالطريقة نفسها. فسيرل و غرايس (وفيما بعد براون وليفنسن ١٩٧٨=١٩٨٧) مهتمون أساساً بمفهوم "التأدب" بوصفه سبباً أساسياً باطنياً لاستخدام الأسلوب غير المباشر، في حين نجد أن ليتش (١٩٨٣) مهتم أساساً بمفهوم "التأدب" بوصفه مستوى سطحياً يتعلق مباشرة بالعادات والطبائع الاجتماعية المتعارف عليها. ووفقاً لهذا التعريف الثاني، فإن مفهوم "التأدب" لا يحتاج لأن يكون متعلقاً بأية رغبة حقيقية لدى المتكلم في أن يبدو ممتعاً ولطيفاً لحدثه. ويعترف كل من غرايس وسيرل ولو بشكل سريع بأهمية مفهوم "التأدب"، إلا أن أهم دراسة لمفهوم التأدب في السبعينيات تلك التي قام بها براون و ليفنسن (١٩٧٨ = ١٩٨٧)، اللذان يقترحان أن التأدب هو مسألة الحفاظ على "وجه" إيجابي وآخر سلبي، وأن الأسلوب غير المباشر المستخدم في الأمثلة ١ - ٣ آنفاً يمكن شرحه من حقيقة أن الطلب هو في الأساس "عمل يهدد ماء الوجه في ظاهره" إلا أنه يمكن تلطيف صيغته، على أية حال، من خلال استخدام استراتيجيات متنوعة من الأسلوب غير المباشر. ووفقاً لبراون وليفنسن، فإن درجة التلطف المطلوبة تعتمد على العوامل الثلاثة الآتية: المسافة الاجتماعية (مؤلفة من عوامل نفسية حقيقية مثل: المكانة، والعمر، والجنس، ودرجة الألفة... الخ التي تقرر مجتمعة "درجة الاحترام الكلية" المطلوبة في حالة كلامية معينة)، والقوة النسبية وحجم السيطرة. ويرى العديد من المحللين الآخرين أنه يجب إضافة محور إضافي آخر يتعلق بالحقوق والواجبات (انظر توماس ١٩٨١: ١٣ - ١٥). ويجب وزن هذه العوامل مجتمعة بعلاقتها بالسياق الثقافي، ويجب اعتبارها جميعها أيضاً قابلة للنقاش والتفاوض من خلال التفاعل الكلامي وليس كحقائق مسلم

بها. فعلى سبيل المثال، يمكن للمتكلم أن يختار استخدام الأسماء الأولى في محاولة لتقليل المسافة الاجتماعية بين المتكلم ومستمعه، أو ربما استخدام خطط تصغير متفرعة لتقليل حجم السيطرة المفهومة، كأن يقول مثلاً: "هل يمكنك أن ترمي هذه في صندوق البريد عندما تمر به؟".

٥. غموض المعنى

عندما ناقش اوستن (١٩٦٢) مفهوم الحدث الكلامي، قدمه في البداية وكأنه قوة واحدة يمكن تعيينها لأي لفظ بدون أية مشاكل. وبدا الأمر لعدة سنوات أن هدف عالم البراغماتية الأساسي هو شرح تلك السمات/المعالم السياقية (مثل قوة العلاقة الحاصلة بين السامع والمتكلم، كم هي جيدة معرفة المتكلم بالمستمع، ... الخ) التي تؤدي إلى شرح لفظ مثل: هل تلك سيارتك؟ على أنه لفظ تعجبي في مناسبة وكأمر لتحريك سيارة المستمع في مناسبة أخرى.

وقد لاحظنا في القسم الأول أن معظم النواقص في النظرية البراغماتية المبكرة كانت بسبب أن معظم الأمثلة التي عمل عليها العلماء في حقل البراغماتية كانت أمثلة لغوية مثالية أو مستنبطة (مخترة) من جهة وألفاظاً معزولة أو أزواجاً من ألفاظ منعزلة أيضاً من جهة أخرى. وفي السبعينيات والثمانينيات، أجبرت محاولات وصف مقاطع أطول من الكلام الطبيعي ضمن شروط وصف الحدث الكلامي من يعمل في حقل البراغماتية على مواجهة مشاكل غموض أو التباس المعنى عند المتكلم. وهكذا لم تعد مفاهيم "المسافة الاجتماعية" و"حجم السيطرة" الخ أموراً مسلماً بها، بل أضحت قابلة للنقاش والتفاوض من خلال التفاعل. وهكذا، نجد أن جل الاهتمام انخرط عن مناهج البحث التي تسيطر عليها قوانين محددة كتلك عند ليكوف وصادوك وسيرل إلى تطوير نماذج أو مناهج بحث قادرة على معالجة التعقيدات الحاصلة في اللغة الطبيعية بطريقة أجمع.

١.٥ التضاد البراغماتي

لقد أوحى عمل ليتش (١٩٩٧) وبراون (١٩٧٨ = ١٩٨٧) أن شكلاً من غموض المعنى وهو "التضاد" أصبح مقبولاً بصورة عامة ضمن حقل البراغماتية. ولاحظوا أن القوة المقصودة في لفظ مثل "هل ذلك هو الهاتف؟" يمكن أن تكون غامضة قصداً - يمكن أن تمثل "سؤالاً صريحاً" أو طلباً للمستمع كي يجيب على الهاتف. وعندما تكون الحقوق ذات الصلة بالموضوع

والالتزامات، أو دور العلاقة بين المشاركين غير واضحة (وعادة ما تكون كذلك كما لاحظنا في الفقرة ٤)، عندئذ، ربما كان من مصلحة الطرفين أن تبقى قوة اللفظ قابلة للنقاش. وهكذا، يتجنب المتكلم مخاطرة مجابهة أو رفض مزعج لأن لدى المستمع الحرية في الإجابة على السؤال بقوله "نعم إنه ذلك" أو بدلاً من ذلك، أن يفسر اللفظ على أنه طلب غير مباشر وينفذ.

وهكذا، نجد أن التضاد يحدث عندما لا يحدد المتكلم بدقة طبقة القيم التحقيقية التي يرغبها أو يقصدها (تكون في العادة على صلة بالموضوع). فعلى سبيل المثال، يمكن تثبيت لفظ مثل "كان علي أن اتركها مفتوحة" في أية نقطة بين "الاعتراف المتردد" و "الاعتذار".

٢.٥ الأشكال الأخرى لتعدد المعنى

لقد أضحي مفهوم تضاد المعنى مفهوماً راسخاً عموماً الآن ضمن البراغماتية (على الرغم من ندرة اعتباره، على سبيل المثال، في تحليل النص، انظر القسم السادس الآتي). وقد نوقشت أشكال المعنى المتعددة الأخرى بما في ذلك "ثنائية التكافؤ" انظر توماس ١٩٨٦ و "جمع التكافؤ"، و "تعددية التكافؤ"، على الرغم من أن النقاش لم يكن نقاشاً مكثفاً، في الدراسات البراغماتية عند ليفنيسن (١٩٨١) و توماس (١٩٨٦)، بينما ناقش كل من فوشن (١٩٨١) و هانشر (١٩٧٩) وأوهمان (١٩٧٢) المشاكل النظرية الوصفية التي تعرضها الأشكال المتعددة لأفعال تحقيقية متعاونة.

أما مصطلح "ثنائية التكافؤ" فينطبق على تلك الحالات التي يمكن فيها للفظ بمفرده أن ينفذ حدثين تحقيقيين مختلفين أو أكثر للمستمع "نفسه"؛ بينما يشير مصطلح "تعددية التكافؤ" لتلك الحالات حيث ينفذ فيها لفظ بمفرده أفعالاً تحقيقية مختلفة لمستمعين مختلفين أو أكثر. فعلى سبيل المثال، وبشكله الأكثر استقامة ووضوحاً، يمكن للحدث التحقيقي المتعدد التكافؤ أن يكون مثلاً حياً ممتعاً للاقتصاد في استخدام اللغة (المكافئ اللغوي لضرب عصفورين بحجر واحد).

٣.٥ الغموض الدلالي ونظرية الحدث الكلامي

وهكذا يمكن رؤية أن أمر تعيين قوة براغماتية بمفردها للفظ بعينه مسألة مباشرة ومستقيمة في أغلب الحالات بالنسبة لتحليل النص وللمشارك في التبادل الخطابي. وقد برهن ليفنسن (١٩٨١)، في بحث مثير وإبداعي أن هناك معضلتين أساسيتين، ربما لا يمكن تذييلهما بالنسبة لنظرية الحدث الكلامي :

(١) استحالة تعيين قوة بمفردها للفظ بمفرده.

(٢) المغالطة المنطقية في تعيين القوة التحقيقية.

واتضح بعد ذلك وبسرعة أنه عندما يتفحص المرء قطعاً من النصوص اللغوية الطبيعية، فإن غموض القوة البراغماتية، إلى حد بعيد أو قريب، هو القاعدة تقريباً. وحتى في اللفظ المنفرد، فمن النادر إمكانية الجزم بنوع الحدث التحقيقي المنفذ. وبالنسبة لمعظم الأحداث التحقيقية، لم يعد القول بأنه يمكن تأسيس قواعد لغوية رسمية لتمييز "الأمر" عن "الطلب" مقبولاً. (على الرغم من أن فهم دور العلاقات الاجتماعية، مع السمات شبه اللغوية السياقية الأخرى سيساعد بالتأكيد على توضيح مجموعة التفسيرات الممكنة). ولا ترى سوى قلة قليلة من علماء البراغماتية اليوم أن نظرية الحدث الكلامي شيء أكثر من طريقة مختزلة لمناقشة معنى المتكلم: إنها وسيلة مساعدة من التجريد تلكأت مصطلحاتها لأنها على قدر هائل من التداول والشيوخ وهي مفيدة لذلك الغرض فقط.

والتأدب مثالٌ عن موضوع أدى بالبراغماتية بحق لأن تتصل بمواضيع أخرى من حقول أخرى مثل علم الاجتماع وعلم الإنسان الاجتماعي، وبذلك وسع طبقة العوامل المطلوب مناقشتها في أي تحليل براغماتي. إلا أن عمل كل من براون وليفنسن وليتش لم يول مسائل "السياق اللغوي" اهتماماً كافياً (أي: قطعة النص التي تضمنت لفظاً محددًا) وفشل في إعطاء قدرٍ كافٍ للعوامل الاجتماعية والمؤسسية التي تؤثر بشكل كبير في إنتاج النص وتفسيره. وفيما يتعلق بالمسألة الأخيرة، يمكن للبراغماتية أن تؤدي بشكل مفيد إلى المحاولات الاجتماعية - اللغوية المبكرة (كتلك التي قام بها لايوف وفانشل ١٩٧٧) في تضمين الوصف اللغوي بنبات ضمن مواقع اجتماعية معينة. وأمثلة عن محاولات من هذا القبيل ضمن البراغماتية

تتضمن أعمالاً لـ مي Mey (١٩٨٥). فير كلاو Fairclough ١٩٨٥ و كاندلين Candlin; و لوكاس Lucas (١٩٨٦). ونعود باهتمامنا الآن لمعالجة مسألة السياق.

٦. تحليل القوة البراغماتية في نص حوارى سياقى

برزت مسألتان مترابطتان للنظرية البراغماتية التقليدية عندما قامت محاولات جادة لتطبيق النظرية البراغماتية على النص الحوارى السياقى. ولهاتين المسألتين، بدورهما، استتبعات أو تأثيرات هامة على المجالات اللغوية المجاورة مثل تحليل النص الحوارى أو وصف التفاعل عبر الثقافات التي تعتمد على النظرية البراغماتية.

١. إن غموض المعنى ليس ظاهرة على مستوى اللفظ فحسب، (انظر القسم ٥) ولكن يحدث على مستوى وظيفة النص الحوارى أيضاً.
٢. إن مسألة تعيين القوة البراغماتية للفظ معين تتأثر بشكل جوهري بالألفاظ التي تسبقه.

٦. ١ غموض وظيفة النص الحوارى

يوضح مثال من ميلورى (١٩٨٤: ٢٥) الصعوبة التي يمكن أن يعانيتها المشاركون في حديث لتحديد وظيفة النص الحوارى حتى في قطع قصيرة من النصوص:

- | | |
|---------|---|
| الزوجة: | هل ستعود إلى البيت مبكراً اليوم؟ |
| الزوج: | متى تحتاجين السيارة؟ |
| الزوجة: | لا أحتاجها. تساءلت فقط فيما إذا كنت ستعود مبكراً إلى البيت اليوم. |

نجد في مثال ميلورى أن الزوج قد فسر تفسيراً معقولاً تماماً (على الرغم من أنه كان مخطئاً كما اتضح) لفظ زوجته على أنه حدث تحقيقي تحضيرى (يساوي إلى "ما قبل الطلب" في التحليل التحوارى) ربما صمم لتحضير الأرضية لطلب استخدام السيارة. إلا أنه في الواقع، كما يوضح اللفظ الأخير أن اللفظ كان مجرد "سؤال مباشر". ما يهمنا هنا هو السبب الذي

أدى إلى خطأ الزوج. وكما يوضح المثال التالي، فإن وظيفة النص الحوارى تعتمد ، جزئياً على الأقل، على الطريقة التى يستجيب فيها المستمع :

أ: هل ستستخدم الحاسوب هذا المساء؟

ب: لا .

أ: هل من الممكن أن استخدمه عندئذ؟

ففى هذه الحالة، فقد استجاب "ب" للسؤال "هل ستستخدم الحاسوب هذا المساء؟" وكأنه سؤالاً مباشراً. إلا إنه يمكن أن يستخدم على قدرٍ مساوٍ كالطلب نفسه، لو اختار "ب" أن يتعامل معه على ذلك الأساس. يمكن لـ "ب" أن يجيب: "لا"، "إنه تحت تصرفك"، أو، بشكلٍ مشابه، تستخدم "هل ذلك هو معطفك على الأرض؟" فى أغلب الأحيان كتوبيخ فى حد ذاتها.

وبعبارة أخرى، فإن مسألة تحديد وظيفة النص الحوارى ليست مشكلة للمشارك فى الحديث فقط، ولكنها مشكلة للمحلل أيضاً الذى يمكنه أن يحدد القيمة من خلال مغلطة منطقية. إننا لا نتعامل مع تنوع أو تعدد فى القوة التحقيقية فحسب، ولكن مع تعدد أو تنوع فى وظيفة "النص الحوارى" - وذلك شكل من التضاد النصي الذى ليس بالنادر.

٦ . ٢ قوة اللفظ البراغمية فى نص حوارى سياقى

ناقشنا فى الفقرة الخامسة مشاكل غموض القوة البراغمية فيما يخص الألفاظ المنعزلة. ولدرجة صغيرة نسبياً، فإن مسألة تحديد القوة البراغمية أضحت أبسط بخصوص النص الحوارى السياقى. فالمحلل ليس قادراً على أن يأخذ فى حسبانهِ المعايير البراغمية المتنوعة فقط (القوة، حجم السيطرة... الخ) ودور الحدث الكلامى فى حالة أو سياق معين ولكن أيضاً حالة اللفظ فى النص الحوارى. وغالباً ما يستطيع المتحاور التخلص من بعض التفسيرات المحتملة أيضاً لأن تفسيرات الألفاظ اللاحقة فى المحادثة ستتأثر أو ستتحرف بشكل كبير بالمعنى اللغوى - النفسى (انظر كيس Kess و هوب Hoppe ١٩٨١) بسبب القوة التى يعطيها المستمع للألفاظ السابقة. خذ آخر لفظ من المثال التالى:

"ربما إنك طيب لدرجة أنك ستحركها؟" يمكن أن نعتبر هذا اللفظ (معزولا عن سياقه) طلباً مؤدباً، أو طلباً ساخراً، أو أمراً... الخ. أما عندما نأخذه في سياق المحادثة كاملة، فإننا نستبعد التفسيرين الأولين تماماً :

أ: هل هذه سيارتك؟

ب: نعم.

أ: هذه هي المرة الثالثة هذا الأسبوع التي تأخذ فيها مكان سيارتي. إنني لا أدفع خمسين جنيهاً في العام لأتركك تأخذ مكاني دائماً.

ب: آسف، إنني لم أعرف أنه مكان سيارتك.

أ: وما علاقة ذلك بالموضوع بحق السماء، والآن إنك تعرف، ربما إنك طيب لدرجة أنك ستحركها.

نجد أن القوة البراغمية "تراكمية" بالطريقة التي وصفها كل من لابوف و فانشل (١٩٧٧: ٩٥) (فقد أوضحنا، على سبيل المثال، أن الطلب "المتكرر"، على الرغم من كونه غير مباشر في حد ذاته، يمكن تفسيره كتحد لمقدرة المستمع)، وكذلك بمعنى أن المشاركين يعطون قيمة للألفاظ بناءً على ما قد سلف أو حدث مسبقاً.. ومن المهم أن نأخذ في الحسبان الألفاظ السابقة والأثر التراكمي للقوة البراغمية في تقدير درجة ملائمة أو مناسبة لفظ ما. يمكن أن يكون المتكلم قد استخدم الألفاظ السابقة استراتيجياً "ليمهد" تمهيداً ملائماً لحدث كلامي محدد. لنعد إلى مثالنا السابق في طلب استخدام الحاسوب حيث يمكن الحكم على: "هل يمكنني أن استخدم الحاسوب؟" على أنها طلب غير مؤدب، إن لم يحكم عليها بوصفها جزءاً من محادثة يسبقها اللفظ الأول الذي أكد أن (ب) لن يستخدم الحاسوب (وبالتالي تقلل حجم السيطرة، راجع نقاشنا في القسم (٤) عن درجة نقاش المعايير البراغمية).

٦. ٣ استتبعات ممارسة البراغمية

إن وجود التضاد النصي الحواري وصعوبة تعيين قصد تحقيقي بمفرده للفظ لا يعرض مشاكل جملة لنظرية الحدث الكلامي فحسب، بل يعرض مشاكل لا يمكن تذليلها تواجهه أي إطار عمل وصفي (مثل مناهج "ملء الفراغات بكلمات معينة"، المتبعة في تحليل النص) يُقدم

بالاعتماد على الاعتقاد أنه يمكن للمحلل أن يجدد، بدون أية صعوبة، حدثاً نصياً بمفرده عند لحظة قول اللفظ أو فيما بعد.

إن الطبيعة التراكمية للقوة البراغماتية تدعو إلى توحي الحذر في مجالين طبقت فيهما نظرية الحدث الكلامي التقليدية بشكل واسع: أولهما وصف التفاعل والتداخل بين الثقافات وثانيهما: البحث في اكتساب الكفاءة البراغماتية في تعلم اللغة الثانية (انظر فريزر Fraser ١٩٧٨، فريزر Fraser ورنتل Rintell وولترز ، Walterz ١٩٨١ ورنتل Rintell ١٩٧٩ وولتر ١٩٧٩). فنادراً ما سمحت الطرق المستخدمة في توضيح البيانات استخدام الأحداث التحقيقية التحضيرية أو مناقشة شروط الاستخدام. وبما أن هناك قدراً كبيراً من الاختلاف عبر الثقافات في الطريقة المباشرة التي يتم التعامل من خلالها مع الأحداث التحقيقية، عندئذ، يمكن للمقارنات، التي لا تهتم كثيراً بالسياق - وبالتالي بالدرجة التي أسس المتكلم فيها الأرضية لاستخدام الحدث التحقيقي، أن تكون مضللة لدرجة كبيرة.

نشأت حركة ضمن التراث البراغماتي الأوربي ابتعدت عن تطبيق قوالب أو مناهج صارمة، تؤدي بالتالي إلى تشويه المعطيات، واستبدالها بنظام ديناميكي في تفسير اللفظ يهتم بأهداف المتكلم ولا يحمل اللفظ معنى واحداً ولكن يحمله احتمالية كافية من المعنى. وقد تضمن ذلك، في أغلب الأحيان، استعارة مبادئ ومفاهيم من التحليل التحاوري (انظر ليفنسن - ١٩٨٣ الفصل السادس) اعتبرت فيها الشكوك وعدم التأكد التي يعاني منها المحلل في تعيين أو تحديد القيمة البراغماتية والتحادثية للألفاظ مرآة تعكس المشاكل التي يعاني منها المشاركون في التعامل مع المعنى في الواقع الحقيقي. إن المعضلة التي تجابه البراغماتيين هي كيفية تجسيد غنى المعنى البراغماتي والنصي الحوارية وتعقيده وتنوعه الذي يسمح به التحليل التحاوري، مع الحفاظ على القوة التنبؤية والتفسيرية للنظرية البراغماتية.

٧. إعادة تقييم مبدأ التعاون عند غرايس

أدت محاولات تطبيق النظرية البراغماتية على مقاطع من الكلام الطبيعي التحاوري إلى إعادة تقييم عام لمفهوم المحادثة عند غرايس، وكذلك مكانة المبادئ بشكل خاص. ولاحظ العديد من المعلقين أن مبادئ النوعية والكمية، والعلاقة/المناسبة أو الأسلوب/الكيفية عند غرايس متشابكة

وليست بالتأكيد على درجة واحدة من الترتيب. فمثلاً، لا يمكن إجراء تقييم صحة وعدم صحة (مبدأ النوعية) إلا بما يخص العالم الحقيقي، في حين ، نجد أن مبدأ الأسلوب هو مبدأ نصي (فأحكام التقييد به أو عدمه تعتمد على أسس لغوية) ويختص، في كلمات غرايس نفسه بـ:

" ليس بما قيل، ولكن بـ كيف يجب أن يقال ما قيل."

إن التقييد بمبدأ النوعية مسألة نعم/لا، في حين أن التقييد بمبدئي الأسلوب والكمية يتعلق بالدرجة. فكلم هو "التنظيم" منظماً؟ وكلم "الإسهاب" اسهاباً؟ وكلم من المعلومات هي "معلومات كافية"؟.

إن الطرق التي يمكن للمتكلم أن يتقيد أو لا يتقيد فيها بمبدأ التعاون (التجاوز، الاستهزاء، المخالفة، الامتناع، أو الخروج .. الخ انظر القسم ٣ . ١ . أنفا) تختلف بدرجة كبيرة من مبدأ لآخر. فغالبا ما يتم خرق مبدأ الأسلوب ، بشكل خاص، على نحو غير مقصود (على عكس مبدئي النوعية والكمية) ومن الصعب خرقه دون ملاحظة ذلك. فعلى سبيل المثال، لا يمكن للمتكلمين أن يموهوا حقيقة أنهم وقعوا تحت تأثير التشويش أو أنهم يكررون أنفسهم (على الرغم من إمكانية استخدام تعبير غامض بقصد التمويه أو التضليل).

ويعرض الخروج عن مبدأ التعاون حالة ممتعة للغاية. فعندما يختار المتكلمون علانية الخروج عن مبدأ ما، فإنهم يزودوننا بمدخل متميز للطريقة التي يعمل بها المتكلمون، كقاعدة، في اتباع المبادئ. وتعرض هذه الحالة بدورها، دليلاً بديهياً لمفهوم غرايس في أن هناك لدى المشاركين توقعات كبيرة، إن بقيت الأمور الأخرى على ما هي، وإن لم يتوفر دليل واضح للعكس، في التقييد بالمبادئ. بما في ذلك مبدأ التعاون. إن تكرارية خروج المتكلمين عن التقييد بمبدأ العلاقة (المناسبة) علانية، بالمقارنة مع عدم تكرارية أو ندرة الحالات التي يخرجون فيها عن المبادئ الأخرى توحى بأنه من طبيعة أو نظام مختلف (وأكثر أهمية) عن المبادئ الأخرى.

إلا أن طبيعة مبدأ العلاقة /المناسبة هي التي أثارت معظم الاهتمام . فقد علق العديد من الكتاب (باخ و هارنش ١٩٧٩ و بيرد ١٩٧٩ و داسكال ١٩٧٧ وهولديكروفت ١٩٧٩، و ويلسون وسبيربر ١٩٨١) على الأهمية البالغة لمبدأ العلاقة /المناسبة. واقترح

العديد منهم استبدال مبدأ التعاون نفسه بمبدأ علاقة تعاد صياغته وتعريفه ويسمى "مبدأ العلاقة أو المناسبة" (داسكال ١٩٧٧ وهولدكروفت ١٩٧٩، ويلسن وسبيربر ١٩٨١)

"... يمكن الاستعاضة عن مبادئ غرايس بمبدأ علاقة واحد وهو مبدأ "المناسبة".
وأثناء تفسير قول ما يستخدم المستمع هذا المبدأ، من ناحية، بوصفه مرشداً لتفسير الغموض و تحديد الدلالة أو المرجع بشكل صحيح، ويستخدمه، من الناحية الأخرى، لتقرير ما إذا كانت الحاجة تدعو إلى إيجاد مقدمات منطقية إضافية ، وإن كان الأمر كذلك، فما هي هذه المقدمات المنطقية ؟ أو إذا كان المقصود هو التفسير المجازي. يمكن لمبدأ المناسبة بمفرده أن يزودنا بوسيلة، نعتقد، أنها أكثر وضوحاً أيضاً من الاستباعات التي وضع غرايس مبادئه لوصفها أو شرحها."

(ويلسون وسبيربر ١٩٨١ : ١٧١)

وأغلب الحجج التي قدمت أو اقترحت لاستبدال مبدأ التعاون قد صيغت على النحو

التالي :

- (١) إن مبدأ التعاون هو في جوهره، مبدأ علاقة/مناسبة. وقد تمت برهان عدم وجود أمثلة أو حالات لاستنباط استباعات دون استحضار مبدأ المناسبة/العلاقة.
- (٢) وإن مبدأ علاقة/مناسبة معادة صياغته، على عكس مبدأ التعاون، لن تكون درجة صحته سخيطة أو ضعيفة؛ وعلى الرغم من إظهار المناسبة على أنها عامل قوي في تفسير اللفظ حيث يبحث السامعون يجد عن العلاقة/المناسبة، إلا أن هناك حالات يستخلص المشاركون فيها أن هناك لفظ لا علاقة له بالموضوع (مثال: عن متكلم قد تجاوز مستمعيه) ولا توجد هناك محادثة جارية.
- (٣) أنه يمكن لأشكال العلاقة/المناسبة (على عكس مبدأ التعاون). من حيث المبدأ، أن تحدد وتعرف بدقة أكبر.

ويناقش كل من داسكال (١٩٧٧) وسانديرز (١٩٨٠) وتوماس (١٩٨٦) ضرورة التمييز بين نماذج مختلفة من العلاقة/المناسبة. فيقول ساندرز (١٩٨٠: ٩١-٩٢) أن هناك أربع طرق على الأقل يمكن للتعبير فيها أن يكون على علاقة مع تعبير سابق أو تعبير لاحق (دون الأخذ في الحسبان اللعب بالألفاظ طبعاً). ويقول داسكال أيضاً أن المتحاورين في المحادثة يعملون بمفهومين متميزين من العلاقة/المناسبة على الأقل بما في ذلك :

".. واحد "براغماتي" والآخر "دلالي". ويتعلق الأول بمدى علاقة الأحداث الكلامية بأهداف محددة. .. ويهتم الثاني بعلاقة كينونات لغوية منطقية، أو إدراكية مثل: "قضايا" مع مثيلاتها من النمط نفسه: ووصفها .. يتضمن بعض مفاهيم مثل الدلالة أو المرجع، وعلاقات المعنى، والاستلزام... الخ." (داسكال، ١٩٧٧: ٣١١)

٨. نظرية العلاقة/المناسبة: سيربر وويلسن

ربما كانت معالجة سيربر وويلسن (١٩٨٦) المكثفة لنظرية العلاقة/المناسبة أهم تطور شهدته البراغماتية في السنوات القليلة الماضية.

ويعرض كتابهما "العلاقة/المناسبة": التواصل والإدراك" (١٩٨٦)، معتمداً على عمل سابق للمؤلفين، في حقيقة الأمر، أ نموذجاً جديداً للبراغماتية يجتدى به، وطموحاً لنظرية جديدة في التواصل. ولم يصمما نظريتهما لتفسير الألفاظ المنفردة في السياق فحسب، بل أيضاً لتفسير التأثيرات السلوكية، بما في ذلك المعلومات القديمة والجديدة المعطاة، وكذلك "التأثيرات الخاصة" للاستعارة والسخرية. (أحد مزاعم النظرية أن الاستعارة ليست "خاصة"، ولا يتطلب تفسيرها أي شيء يزيد عما يتطلبه منهج عام للتواصل).

ووصف نظام التواصل "التخاطب" على أنه "استدلال إشاري" لأنه مؤسس على المفاهيم التكاملية "للإشارة" (التي يصدرها المتكلم وتعني أن لديه شيئاً ما يود التخاطب به) و"الاستدلال" (العملية المنطقية التي يستعملها المستمع للوصول للمعنى). وأعيد صياغة نظرية المعنى المفهومي عند غرايس (انظر القسم ٣،١) على النحو التالي:

(أ) قصد إخباري: قصد إظهار مجموعة محددة من الافتراضات للمستمعين بشكل واضح أو أكثر وضوحاً.

(ب) قصد تخاطبي: قصد لإيضاح قصد المخاطب الإخباري لكل من المستمعين والمخاطب.

ووصف التخاطب الاستدلالي الإشاري على النحو التالي :

".. . يصدر المخاطب حافظاً. يجعل الأمر واضحاً لكل من المستمعين والمخاطب أن المخاطب يقصد من خلال هذا الحافظ أن يوضح للمستمعين مجموعة محددة من الافتراضات.

(سيربر وولسن ، ١٩٨٦ : ٦٣)

من الملاحظ أن النظرية تستفيد من مصطلح "الإظهار" (بدلاً من مصطلح "المعرفة" الأقوى) للإشارة إلى المعلومات المتعامل معها ضمن التخاطب أو التواصل. يمكن لافتراض ما أن يتضح بدرجات متفاوتة لشخص ما، وعليه فإن القول أن الافتراضات المختلفة تظهر بدرجات مختلفة يفسح المجال لبروز ظاهرة التضاد في التواصل. (انظر الفقرة ٥).

وبشكل مشابه، فقد استخدم الكتاب مصطلح "التصور/الافتراض" وليس "المفهوم/القضية" للدلالة على وحدات المعنى/المعلومات. وتسمح التصورات، على عكس المفاهيم، بدرجات متفاوتة من التزامها بالحقبة.

وهذا الانسحاب نحو نظرية أضعف من التواصل مرغوب به عندما يناقش المرء أهمية التضاد في عملية التواصل، والصعوبات التي يلاقيها الفلاسفة وعلماء البراغماتية في الدورة المتبعة المتعلقة بمفهوم "المعرفة المتبادلة". وفي الوقت ذاته، فإن سيربر و ويلسن يتمسكان بمفهوم واضح من الاستدلال المنطقي في تفسير السمة الاستدلالية لعملية التواصل أو التخاطب. وهذا يعني أنهما يعانيان من مشكلة كيفية شرح وصول المستمعين، على الرغم من سمات الاستدلال المنطقي التكرارية، عامة، إلى القرارات المناسبة بشأن معاني الألفاظ.. ويقول سيربر و ويلسن أن وسائل تحديد عدد الاستدلالات المشتقة من اللفظ هي "مبدأ العلاقة/المناسبة":

مبدأ العلاقة/المناسبة: كل فعل تخاطبي إشاري ينقل التصور بمناسبه المثالية".

وشرح مفهوم المستمعين "لافتراض المناسبة المثالية" على النحو التالي :

- (أ) إن مجموعة التصورات ١ التي يقصد المخاطب إظهارها أو توضيحها للمستمع هي على قدر كاف من العلاقة /المناسبة كي تستأثر بانتباه واهتمام المستمع وهو يؤول الحافز الإشاري.
- (ب) إن الحافز الإشاري هو الأكثر مناسبة والذي يمكن للمخاطب أن يستخدمه في إيصال ١ للمستمعين.

يتضح من هذا التعريف أن "العلاقة/المناسبة" هي مسألة درجة. وهي مكانة وضحتها "شروط المدى" حول طبيعة ودرجة "العلاقة /المناسبة" في عمل سبيربر و ولسن:

شروط المدى (١) يكون التصور مناسباً أو على صلة في سياق إذا بدت آثاره السياقية في ذلك السياق كبيرة .

شروط الدرجة/المدى (٢) يكون التصور مناسباً أو على صلة في سياق إذا بدت الجهود المبذولة لتفسيره أو شرحه في ذلك السياق صغيرة.

ونعلم من هذين الشرطين عن "المدى" أن العلاقة/المناسبة أساساً هي تناوب بين "الإخبار" (مبدأ الكمية عند غرايس) و"المعالجة" (كون الشيء قابل للتحليل والمعالجة). (مبدأ الأسلوب/الكيفية عند غرايس) .

إلا إنه من الضروري، على أية حال، فهم أن "التأثيرات السياقية" أساسية في نظرية ولسن وسبيربر للتواصل والتخاطب. ولو اعتقدنا بأن التأثيرات السياقية هي معلومات فلن نخطيء كثيراً. وبدقة أكثر، فإن هناك ثلاثة نماذج من التأثيرات السياقية :

- (أ) تصورات جديدة. (استباعات سياقية).
- (ب) تقوية التصورات السابقة .
- (ت) التخلص من التصورات القديمة لصالح التصورات الجديدة التي تناقضها.

يدعي سبيربر و ويلسن أنه يمكن تطبيق مبدأ "العلاقة/المناسبة" بدون أي استثناء - أي أن الطبيعة الإنسانية تأنف من انعدام المعنى - وأن مبدأ العلاقة/المناسبة هذا يقوم بكامل عمل مبادئ غرايس بل وأكثر منها أيضاً.

ومن السابق لأوانه الحصول على تقييم لنظرية "العلاقة/المناسبة" عند سبيربر و ولسن ؛ ولكن يمكننا أن نجازف ونؤكد أنهما قدما أعظم الفضل للبراغماتية وهو أنه يجب مساواة البراغماتية بنظرية عامة للتخاطب والتواصل تلعب اللغويات فيها، كنظرية للرمز اللغوي (علم الدلالة والنحو، والصوت) ، دوراً صغيراً نسبياً. وكما يوضح عنوان كتابهما، فنظريتهما نظرية "إدراكية" للتخاطب تولى الجانب النفسي، وليس الجانب الاجتماعي، في التخاطب الأهمية الكبرى. وهذا يؤدي بالتأكيد للعودة إلى الصرامة والقسوة، حيث أنها تهمل أيضاً وبشكل كبير التقدم والتبصر الحاصل في الوصف الاجتماعي الذي ميز تقدم البراغماتية في المجالات الأخرى. ومع ذلك، فإن نظرية العلاقة/المناسبة كما طرحها ستشكيل، بدون أدنى شك، محطة بحث كبيرة للبحث والتقصي للمستقبلين لطبيعة المعنى البراغماتي. ونحتاج في البراغماتية، كما في علم الدلالة، إلى إحداث توازن بين المنظور الاجتماعي والمنظور النفسي لمعنى اللغة الإنسانية. ولو جازف المرء بتخمين للمستقبل، فإنه يمكن القول إن الصراع سيستمر بين عالم اللغة النفسي وعالم اللغة الاجتماعي كما هو الحال في الجوانب الأخرى في دراسة المعنى اللغوي واستخدام اللغة.

المراجع / REFERENCES

Altieri, C. (1978) 'What Grice offers literary theory; a proposal for "expressive implicature"', *Centrum*, 6 (2): 90-103.

- Apostel, L. (1979) 'Persuasive communication as metaphorical discourse under the guidance of conversational maxims' in *Logique et Analyse* 22: 265-320.
- Austin, J. L. (1962) *How To Do Things With Words*, Oxford University Press, Oxford.
- Bach, K. and Harnish, R. (1979) *Linguistic Communication and Speech Acts*, MIT Press, Cambridge, Mass.
- Baker, C. (1975) 'This is just a first approximation, but ...', *Papers From the Chicago Linguistics Society*, II: 37-47.
- Bar-Hillel, Y. (1970) *Aspects of Language*, North-Holland, Amsterdam.
- Bar-Hillel, Y. (1971) *Pragmatics of Natural Language*, Reidel, Dordrecht.
- Bird, G. (1979) 'Speech acts and conversation- II' *Philosophical Quarterly*, 29: 142-52.
- Brockway, D. (1981) 'Semantic constraints on relevance', in Parret, H. *et al* (eds) '98':57-78.
- *Brown, P. and Levinson, S. (1987) *Politeness: some universals in language usage*, Cambridge University Press, Cambridge. (Reissued and extended version of 1978 monograph.)
- Candlin, C. N. and Lucas, J. L. (1986) 'Modes of counseling in family planning', in Ensink, T. *et al* (eds) *Discourse in Public Life*, Foris, Dordrecht.
- Carnap, R. (1942) *Introduction to Semantics*, MIT Press, Cambridge, Mass.
- Carnap, R. (1955) 'On Some Concepts of Pragmatics', *Philosophical Studies*, 6: 89-91
- Cole, P. (ed) (1978) *Syntax and Semantics, 9: Pragmatics*, Academic Press, New York.
- Cole, P. and Morgan, J. L. (ed) (1975) *Syntax and Semantics, 3: Speech Acts*, Academic Press, New York.
- Dascal, M. (1977) 'Conversational relevance', *Journal Pragmatics*, 4:309-28.
- *Dascal, M. (1983) *Pragmatics and the philosophy of Mind I: Thought in Language*, Benjamins, Amsterdam.
- Edmondson, W. J. (1979) 'Harris on performatives', *Journal of Linguistics*, 15: 331-4.
- Fairclough, N. L. (1985) 'Critical and descriptive goals in discourse analysis', *Journal of Pragmatics*, 9: 739-63.
- Fotion, N. (1971) 'Master Speech Acts'. *Philosophical Quarterly*, 21:232-43.

- Fotion, N. (1981) 'I'll bet you \$10 that betting is not a speech act'. in Parret, H. *et al.*: 211-23.
- Fraser, B. (1978) 'Acquiring social competence in a second language' in *RELC Journal* 9 (2): 1-21.
- Fraser, B., Rintell, E. and Walters, J. (1981) 'An approach to conducting research on the acquisition of pragmatic in a second language', in Larsen-Freeman, D. (ed.) *Discourse Analysis*. Newbury House, Rowley, Mass.: 75-81.
- Frege, G. (1952) 'On sense and reference', in Geach, P. T. and Black, M. (eds) *Translations from the Philosophical Writings of Gottlob Frege*, Blackwell, Oxford: 56-78. (Original 1892.)
- Gazdar, G. (1979) *Pragmatics: Implicature, Presupposition and Logical Form*, Academic Press, New York.
- Gordon, D. and Lakoff, G. (1975) 'Conversational postulates', in Cole, P. and Morgan, J. L. (eds): 83-106.
- Grice, H. P. (1957) 'Meaning', *Philosophical Review*, 66: 377-88.
- Grice, H. P. (1975) 'Logic and conversation', in Cole, P. and Morgan, J. L. (eds): 41-58.
- Grice, H. P. (1978) 'Further notes on logic and conversation', in Cole, P. (ed.) 113-27.
- Grice, H. P. (1981) 'Presupposition and conversational implicature', in Cole, P. (ed.) *Radical Pragmatics*, Academic Press, New York: 183-98.
- Hancher, M. (1979) 'The classification of cooperative illocutionary acts', *Language in Society*, 8: 1-14.
- Harris, R. (1979) 'The descriptive interpretation of performative utterances', *Journal of Linguistics*, 14, 331-4.
- Harris, S. J. (1980) *Language Interaction in Magistrates'*, Courts, unpublished Ph. D. thesis, University of Nottingham.
- Holdcroft, D. (1979) 'Speech acts and conversation-I', *Philosophical Quarterly*, 29: 125-41.
- Hughes, J. (1984) 'Group speech acts', *Linguistics and philosophy*, 7: 379-95.
- Kasher, A. (1976) 'Conversational maxims and rationality', in A. Kasher (ed.) *Language in Focus*, Reidel, Dordrecht: 197-216.
- Kasher, A. (1977a) 'Foundations of philosophical pragmatics', in R. E. Butts and J. Hintikka (eds) *Basic Problems in Methodology and Linguistics*: 225-42, Reidel, Dordrecht.

- Kasher, A. (1977b) 'What is a theory of use?', *Journal of Pragmatics* 1(2): 105-20.
- Kempson, R. M. (1975) *Presupposition and the Delimitation of Semantics*, Cambridge University Press, Cambridge.
- Kess, J. F. and Hoppe, R. A. (1981) *Ambiguity in Psycholinguistics*, Benjamins, Amsterdam.
- Kiefer, F. (1979) 'What do the conversational maxims explain?', *Linguisticae Investigationes* 3 91) :57-74.
- Labov, W. and Fanshel, D. (1977) *Therapeutic Discourse*, Academic Press, New York.
- Leech, G. N. (1977) 'Language and tact', *LAUT Series A Paper 46*, University of Trier.
- Leech, G. N. (1980) *Explorations in Semantics and Pragmatics*, Benjamins, Amsterdam.
- *Leech, G. N. (1983) *Principles of Pragmatics*, Longman, London.
- Levinson, S. (1979) 'Activity types of language', *Linguistics* 17: (5/6): 365-99.
- Levinson, S. (1981) 'The essential inadequacies of speech act models of dialogue', in Parret, H. *et al.* (eds): 473-89.
- *Levinson, S. (1983) *Pragmatics*, Cambridge University Press, Cambridge.
- Martinich, A. P. (1984) *Communication and Reference*, Walter de Gruyter, Berlin.
- Mey, J. L. (1985) *Whose Language: A study in the Pragmatics of Language Use*, Benjamins, Amsterdam.
- Milroy, L. (1984) 'Comprehension and context: successful communication and communication breakdown', in Trudgill, P. (ed.) *Applied Sociolinguistics*, Academic Press, London: 7-31.
- Morgan, J. (ed.) (1979) *Syntax and Semantics: Volume 9*. Academic Press, London/New York.
- Morris, C. W. (1938) *Foundations of the Theory of Signs*, Chicago University Press, Chicago.
- *Nuyts, J. and Verschueren, J. (1987) *A comprehensive Bibliography of Pragmatics: 4 vols*, Benjamins, Amsterdam.
- Ohmann, R. (1972) 'Instrumental Style: notes on the theory of speech as action', in Kachru, B.B. and Stahlke, H.F.W. (eds). *Current Trends in Stylistics*. Linguistic Research, Edmonton, Illinois: 115-41.

- Parret, H. Sbisà, M. and Verschueren, J. (eds) (1981) *Possibilities and Limitations of Pragmatics*, Benjamins, Amsterdam.
- Pratt, M. L. (1977) *Toward a Speech Act Theory of Literary Discourse*, Indiana University Press, Bloomington.
- Pratt, M. L. (1981) 'The ideology of Speech -act theory', *Centrum (New Series)*: 5-18.
- Pyle, C. (1975) 'The function of indirectness', Paper read at N-WAVE IV. Georgetown University.
- Rintell, E. (1979) 'Getting your speech act together: the pragmatic ability of second language learners' in *Working in Bilingualism* 17: 97-106.
- Ross, J. R. (1970) 'On declarative sentences', in Jacobs, R.A. and Rosenbaum, P.S. (eds) *Readings in English Transformational Grammar*, Blaisdell, Waltham, Mass.: 222-72.
- Sadock, J. M. (1974) *Towards a Linguistic Theory of Speech Act*, Academic Press, New York.
- Sadock, J. M. (1978) 'On testing for conversational implicature', in Cole, P. (ed.): 281-98.
- Sampson, G. (1982) 'the economics of conversation: comments on Joshi's paper', in Smith N.V. (ed.) (1982) 200-10.
- Sanders, R. E. (1980) 'Principles of relevance: a theory of the relationship between language and communication', *Communication and Cognition*: 77-95.
- Searle, J. R. (1969) *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language*, Cambridge University Press, Cambridge.
- Searle, J. R. (1969)
- Searle, J. R. (1979a) *Expression and Meaning*, Cambridge University Press, Cambridge
- Searle, J. R. (1979b) 'A taxonomy of illocutionary acts', in Searle, J. R. 1979a: 1-29. (Original 1975.)
- Searle, J. R. (1979c) 'Indirect speech acts', in Searle, J. R. 1979a: 30-57. (Original 1975.)
- Searle, J. R. (1979d) 'Speech acts and recent linguistics', in Searle, J. R. 1970a: 162-79. (Original 1975.)
- Searle, J. R., Keifer, F. and Biewisch, M. (eds) (1980) *Speech Act Theory and Pragmatics*, Reidel, Dordrecht.

- Smith, N. V. (ed.) (1982) *Mutual Knowledge*, Academic Press, London/New York.
- *Sperber, D. and Wilson, D. (1986) *Relevance: Communication and Cognition*, Cambridge University Press, Cambridge.
- Stampe, D. W. (1975) 'Meaning and truth in the theory of speech acts', in Cole. P. and Morgan, J. L. (eds): 1-39.
- Strawson, P. F. (1952) *Introduction to Logical Theory*, Methuen, London.
- Swiggers, P. (1981) 'The supermaxim of conversation', *Dialectica*, 35: 303-6.
- Thomas, J. A. (1981) 'Pragmatic Failure', unpublished M. A. thesis, University of Lancaster.
- Thomas, J. A. (1983) 'Cross-cultural pragmatic failure', *Applied linguistics*, 4: 91-112.
- Thomas, J. A. (1984) 'Cross-cultural discourse as unequal encounter', *Applied Linguistics*, 5: 226-35.
- Thomas, J. A. (1985) 'the language of power: towards a dynamic pragmatics', *Journal of pragmatics*, 9: 765-83.
- Thomas, J. A. (1986) *The Dynamics of Discourse: a pragmatic approach to the analysis of confrontational interaction*, unpublished Ph. D. thesis, Department of Linguistics, University of Lancaster.
- Walters, J. (1979a) 'the perception of politeness in English and Spanish', in On *TESOL*'79: 289-96.
- Walters, J. (1979b) 'Strategies for requesting in Spanish and English- structural similarities and pragmatic differences', *Language Learning* 9 (2): 277-94.
- Wilson, D. (1975) *Presupposition and Non-Truth Conditional Semantics*, Academic Press, New York.
- Wilson, D. and Sperber, D. (1981) 'On Grice's theory of conversation', in Werth, P. (ed.) *Conversation and Discourse- structure and Interpretation*. Croom Helm, London: 155-78

FURTHER READING

The item marked with an asterisk in the list above will be found especially helpful for further exploration of the subject.